عمر بن عبد العزيز

الخليفة البكاء

بقلم

عرفات القصبي قرون

الناشر

مكتبة العلم والإيمان

دسوق ميدان المحطة

ت ٥٦٠٢٨١

الناشر

مكتبة العلم والإيمان

دسوق - ميدان المحطة - تليفون ٥٦٠٢٨١

الطبعة الأولى ١٩٩٧

فصل ألوان

مقطم جرافيكا سوء

٧ شارع عبد العزيز - عابدين - القاهرة

تليفون ٣٩٠٧٢٩٩

رقم الإيداع بدار الكتب

٩٢١٨ - ١٩٩٧

الترقيم الدولى ISBN 977-5744-57-1

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمه

إن التاريخ العربى ليتعاظم ويتفاخر و يمتلئ بالاعتزاز عند ذلك المنعطف من سير العظماء، لأنهم أضافوا عليه بهاء فوق بهاء ، ولأنهم صبغوا أيامه ولياليه بصيغة العدل والحق التى تتهافت لها النفس المتعطشة ، حين زَوى منها فى ركن قصى بعيد .. ومن تلك السير التى تتلألأ نورا فوق نور سيرة الخليفة العادل عمر بن عبد العزيز الذى سمى بحق خامس الراشدين .

فهى السيرة التى بلغت بصاحبها عنان السماء وهى السيرة التى يتفاخر من يرويها بلاعناء .

لأن الشخصية الفذة قد أعادت للإسلام روحه الغائبة بعد أن ابتعد حكام بنى أمية عن كتاب الله ، وسنن نبيه عليه أفضل الصلاة والسلام ، فهو بحق المنقذ من الظلم. وهو بحق السد المنيع الذى حال بين ظلم بنى أميه وبين العباد .

ووقف كالطود الشامخ بين مايشتهون وبين الناس، فانصف الناس وأنصف بنى أبيه من ظلم الناس .أحاط نفسه الذكية بالخوف من الله ، ولم يرهب أحدا سواه، ولم يستمع

لأحد على هواه، إذ اتخذ دستوره من القرآن وسياسته من السنة النبوية المطهرة .
كان كما كان أبو بكر الصديق رضى الله عنه ، حين أعلن فى أول خطبة له على المنبر { إنى لست بمبتدع ولكنى متبع } فاتبع عمر بن عبد العزيز سنة المصطفى صلوات الله وسلامه عليه وعمل بعمل صاحبه ، فانفتحت أمامه الأبواب المغلقة والقلوب الموصدة ، فكان كريحانة تفوح بالعطر على زمانه ، يتهافت عليها طلاب اليقين، ويشتاق لرائحتها كل قلب حزين، فأضحى رحمه الله بمكان على فى الزمان يغبطه عليه الغابطون ....

المؤلف

اسمه وصفاته

كان عمر بن عبد العزيز شابا مترفا منعما فى شبابه الغض شأنه شأن أبنا ء الملوك من بنى مروان . كان محبوبا من فتيان بنى أمية ، ومن أترابه وأنداده ، فما أن اشتد عوده حتى كان وزيرا لعمه الخليفة سليمان بن عبد الملك بن مروان ، فامتثل سليمان لأوامره إذ رأى فيه الفطنة والذكاء وسداد الرأى، وامتثل لأوامره فى عزل عمال الحجاج الذين ولاهم الوليد وأشار عليه أن يخرج من كان مسجونا من قبل الحجاج فى سجون العراق وأحيا الصلاة لمواقيتها وكان بنو أمية قد اماتوها بالتأخير، وكانت هذه الافعال من خير أفعال سليمان ، وبادرة خير من بوادر عمر بن عبد العزيز رحمه الله. وليس هذا بمستغرب من عمر بن عبد العزيز حفيد الفاروق عمر بن الخطاب فكأنما جرت دماء الفاروق الذكية فى عروقه فأنارت له طريق الحق والعدل وفتحت له ابواب السؤدد والمجد فأمه أم عاصم بن عاصم بنت عمر بن الخطاب رضى الله عنه تلك التى سمعها عمر بن الخطاب وهى تعيش فى المدينة تنهى أمها عن غش اللبن بالماء لتبيعه للمسلمين ، ولما أخبرتها أمها أنه لايراها أحد، قالت لها ابنتها إن عين الله

تراهما، فهو لايغفل ولاينام، فلما سمع عمر بن الخطاب حديثهما ذهب لأبنائه وعرض عليهم الزواج منها فتزوجها ابنه عاصم الذى جاء عمر بن عبد العزيز من صلبه من أم عاصم ، أما نسبه لأبيه فهو ابن عبد العزيز ابن مروان بن الحكم بن أبى العاص بن أمية ابن عبد شمس فهو أموى الدم والنشأة وهو حسنة بنى أمية فى التاريخ. ولد عمر سنة ثلاث وستين بعد الهجرة، وكان ميلاده ميمونا على المسلمين بل إن إرهاصات مولده ثبأيها المحدثون من اصحاب النبى عليه السلام فهذا الفاروق عمر رضى الله عنه يحدث نفسه باستغراب واضح قائلا:

ليت شعرى . من ذو الشين من ولدى الذى يملاها عدلا كما ملئت جورا.. وذو الشين علامة أن فى وجهه شامة يزدان بها وجهه الجميل وشجة ، أما الشجة فقد ضربته دابة من دواب أبيه فشجته، فكان أبوه عبد العزيز بن مروان يمسح الدم من إلى وجهه ويقول سعدت أن كنت أشبحً بنى أميه وهذه دلالة واضحة تشير على إستشعار الناس بمولود يولد فى بنى أمية ، ومن نسل عمر بن الخطاب يملأ الدنيا عدلا، فهذا عبد الله بن عمر رضى الله عنهما يقول إنا كنا نتحدث أن هذا الأمر لاينقضى حتى يلى هذه الأمة رجل من ولد عمر يسير فيها بسيرة عمر بوجهه شامة فكانت الناس تظن أنه بلال بن عبد الله بن عمر ، لأن بوجهه شامة .

ولم يدركوا انه من نسل ابنه عاصم كما أنه كان لمستغرب ومستبعد عن الذهن أن يكون هذا المولود أمويا وقد رأوا منهم الظلم والجور : إن هذا الأمر تعدى حدود العقل واليقظة فصار يتراءى لهم في المنام ، فهذا أبو المليح بن حصيف ، وهذا مؤمن صالح من التابعين يقول : رأيت في المنام رجلا قاعدا عن يمينه رجل وعن شماله رجل، إذ أقبل عمر بن عبد العزيز فأراد أن يجلس بين الذى عن يمينه وبينه قال: فلصق بصاحبه ، فأراد أن يجلس بينه وبين الذى عن يساره فلصق بصاحبه ، فجذبه الأوسط فأجلسه فى حجره قال: قلت :

من هذا ؟ قالوا: هذا رسول الله، وهذا أبوبكر وهذا عمر . ولاغرو فى ذلك كله فلقد زوجه أبوه من حر ماله وطيبه، ولم يدخل ماله درهم من حرام.فعندما أراد عبد العزيز بن مروان أن يتزوج قال: لعمه

{ اجمع لى أربع مائة دينار من طيب مالى فإنى اريد أن أزوج إلى أهل بيت لهم صلاح فزوج أم عمر بن عبد العزيز . درج عمر بن عبد العزيز مع فتيان بنى أمية شابا قويا نهدا فتيا ، وفى أحضان أبيه ، وفى ملك بنى أمية العضود ، إلاأن أباه حَفّظه القرآن وهو صغير وبعثه إلى المدينة يتأدب بها ، ويتعلم الفقه والعلم على أيدى علمائها،

فنشأ نشأة حسنة إذ جمع القرآن فى صدره والعلم والفقه فى خلده ، فكان كثير الصلاة ، كثير الصوم ، دائم الفكر طويل العَبرة .

فلما توفى أبوه طلبه عمه عبد الملك بن مروان ، وزوجه ابنته فاطمة ظل عمر بن عبد العزيز بدمشق عند عمه عبد الملك ، يرى أبهة الملك الأموى، فأخذته فى شبابه المترف نشوة حسده عليها الناس ، فقد كان يختال فى مشيته، ويزيد من تنعمه من مباهج الحياة رغم صلاحه وتقواه.

فلما ولى الوليد بن عبد الملك الخلافة، ولى عمر بن عبد العزيز ولاية المدينة، فظل عليها أميرا سبع سنين، فرضى الناس عنه ورضى عن نفسه ، وازداد إيمانا وقربا إلى الله إذ كان يسأل عن أحوال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيجيبه أنس بن مالك رضى الله عنه سأل من كان موضع ثقة رسول الله عن كل خطبة خطبُها، ليتأسى به ويزداد منه قربا حتى قال عنه أنس بن مالك:

{ ماصليت وراء أحد أشبه بصلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم من هذا الفتى } وكان عمر بن عبد العزيز لم يتجاوز عمره وقتئذ خمسة وعشرون عاما، إلا أنه قد وعى فى شرخ هذا الشباب أصول الدين، فتشبع قلبه البكر

بتقوى الله وحب الرسول وحب الناس . وسع صدره وحلمه فى خلافته كل الناس، حتى قال المتقولون انه المهدى المنتظر لما وسموه منه من سمات العدل والتقوى والصلاح ، فأحبه الناس جميعا وليس هناك وشاج قوى يربط الحاكم بالمحكوم أقوى من وشاج الحب النابع من العدل . بلغ من حبهم له أن قالوا عنه انه المهدى ، فهذا سعيد بن المسيب، يسأله رجل من الناس قائلا: ياأبا محمد.. من المهدى فقال له سعيد :

أدخلت دارا مروان..؟

قال : لا . قال: فادخل دارمروان ترى المهدى، فلما أذن عمر بن عبد العزيز للناس، انطلق الرجل حتى دخل دار مروان ، فرأى الأمير والناس مجتمعين، ثم رجع إلى سعيد بن المسيب فقال: ياأبا محمد ، دخلت دار مروان فلم أر أحدا أقول عنه هذا المهدى، ؟

فقال له سعيد بن المسيب هل رأيت الأشج عمر بن عبد العزيز القاعد على السرير؟ قال : نعم قال: فهو المهدى. بل بلغ أن نطق بهذا القول أهل البيت أنفسهم، فهذا محمد بن على بن الحسين رضى الله عنهم يقول: النبى منا والمهدى من بنى عبد شمس ولانعلمه إلاعمر بن عبد العزيز.

ولقد صدق حدس الناس فى عمر بن عبد العزيز رحمه الله، فقد كان مهديا مهتديا ، صواما قواما أوابا .

جاء للناس على موعد مع القدر وخرج من بينهم دون أن يشعر به أحد كأنهم فى حلم انتبهوا منه فجأة قبل ان يفيقوا ويستبصروا..؟

إستخلاف عمر

جاء استخلاف عمر بن عبد العزيز بالعناية الإلهية . لأن استخلافه كان ضد طبيعة الأشياء وعلى غير المألوف من توارث بنى أمية للملك. فمنذ أن سن معاوية بن أبى سفيان هذه السنة فيهم ، وهم يتوارثونها كابرا عن كابر، فكان الابن ترث الأب فى الملك، إذا لم يكن له أخ، فإذا كان له أخ فالكبير ثم الذى يليه ، فعمر بن عبد العزيز لم يكن أخا لسليمان بن عبد الملك حتى يرثه ،كما ورث سليمان الملك من اخيه الوليد، ولم يكن كذلك من أكبر أبنائه، إنما كل قرابته له أنه بن ابن عمه.فكانت خلافته ضربا من الشرود عن قاعدة بنى أمية فى الملك العضود. !

جاء فى الزمان والمكان المناسبين . فقد ابتلى المسلمون بظلم الوليد جبار بنى أمية ، كما عانوا الأمرين من ولاته فى الأمصار، فكان الحجاج سيفا مسلطا على أهل العراق،، وقرة بن شريك بمصر، والوليد على رأسهم فى الشام. اما عمر بن عبد العزيز فكان له وزيرا .

كان سيلمان بن عبد الملك شابا جميلا وكان أكولا قيل إنه أكل فى مجلس واحد سبعين رمانة وخروفا وست

دجاجات ، ومكوك زبيب طائفيا فازدهى بنسبه وشبابه، رأى شبابه الغض فى المرآة فازدهى.

قائلا: كان محمد صلى الله عليه وسلم نبيا، وكان أبو بكر صديقا، وكان عمر فاروقا، وأنا الملك الشاب .! ثم إنه خرج لصلاة الجمعة فى زينته، فلم يعد إلى بيته إلامتوعكا فلما ثقل عليه المرض، كتب كتابا عهد فيه بالخلافة إلى ابنه أيوب وهو غلام لما يبلغ أشده بعد .

فقال له رجاء بن حيوة وزيره وكان كيسا .. ماتصنع ياأمير المؤمنين؟ إنه مما يحفظ الخليفة فى قبره ، أن يستخلف الرجل الصالح . فقال له سليمان وقد فطن أنه لايرغب فى أيوب. ثم قال إسأكتب كتابا أستخير الله فيه وأنظر، ولم أعزم عليه ، ومكث سليمان يوما أو يومين، ثم دعا رجاء بن حيوة فقال له ماترى فى راود بن سليمان ؟ فقال له رجاء: هذا غائب بقسطنطينية وانت لاتدرى أحى هو أم ميت ؟. فقال سليمان : فمن ترى يارجاء؟ قال رجاء فى ذكاء : الرأى رأيك ياأمير المؤمنين، أنا أريد أن أنظر من يذكر، فقال له سليمان : كيف ترى فى عمر بن عبد العزيز؟

فقال له رجاء بن حبوة: أعلمه والله فاضلا خيارا مسلما

فقال سليمان: هو على ذلك، والله لئن وليته ولم أول أحدا من ولد عبد الملك

لتكونن فتنة ولاتتركونه أبدا، بل عليَّ أن أجعل بعده أحدا منهم. وكان يزيد بن عبد الملك غائبا في موسم الحج ، فكتب سليمان كتابا يولى فيه عمر بن عبد العزيز على أن يكون بعده إخوه يزيد جاء فيه:

{ بسم الله الرحمن الرحيم }

{ هذا كتاب من عبد الله سليمان أمير المؤمنين ، لعمر بن عبد العزيز إنى وليته الخلافة من بعدى . ومن بعده يزيد بن عبد الملك، فاسمعوا له وأطيعوا ، واتقوا الله ولاتختلفوا فيطمع فيكم } وختم الكتاب وأعطاه إلى صاحب شرطته، بعد أن أحضر أهل بيته ، وطلب من وزيره رجاء بن حبوة.أن يخبرهم بالكتاب ، وأن يبايعوا على مافيه، فإنه وصيته إليهم فبايعوا على مافى الكتاب وصية سليمان لهم وقالوا : سمعنا وأطعنا كان اختيار سليمان لعمر بن عبد العزيز مفاجأة له، لم يتوقع هذا الاختيار الكبير ، ولم يكن يخطر له على بال، لقد كان بينه وبين سليمان مودة ورحمة وكان يحبه، ويكن له احتراما كبيرا، فخشى عمر أن تكون هذه العاطفة قد جعلت من تصرف سليمان فى مرضه سبيلا، فذهب إلى رجاء بن حبوة وقال له: ياأبا المقدام : إن سليمان كانت لى به حرمه ومودة، وكان بى برا ملطفا، فأنا أخشى أن يكون قد أسند إلى من هذا الأمر شيئا فأنا أنشدك

الله وحرمتى ومودتى إلاأعلمتنى إن كان ذلك حتى أستعفيه الآن قبل أن يأتى على حال لاأقدر فيها على ماأقدر الساعة، فقال له رجاء: لاوالله، ماانا بمخبرك حرفا واحدا. ولم يخبر عمر بن عبد العزيز مبايعه آل سليمان له فى قصر الخلافة ! إلاأن هشام بن عبد الملك لم يطق صبرا على ذلك المجهول الذى بايعه ، فقد كان يطمع فى الخلافة ، حتى أنه سأل رجاء بن حيوة فى توسل ولين: يارجاء إن لى بك حرمة ومودة قديمة، وعندى شكر فأعلمنىأهذا الأمر إلى؟ فإن كان إلىَّ علمت وإن كان إلى غيرى تكلمت ، فليس مثلى قصر به ولانحى عنه هذا الأمر، فاعلمنى فلك الله ألاأذكر اسمك ابدا . قال له رجاء فى شدة :

لاوالله لاأخبرك حرفا واحدا مما أسر إلى، فانصرف ثم أن هشاما غضب أسفا وهو يضرب باحدى يديه على الاخرى ويقول متعجبا : فإنى إذا من نحيت عنى؟ أتخرج من بنى عبد الملك ، فوالله إنى لعين بنى عبد الملك !!

ودخل رجاء بن حبوة على سليمان وهو فى النزع الأخير ممابقى له من أنفاس فى الدنيا، فوجده فى سكرة الموت، فحركه نحو القبلة مرة أومرتين وهو يراوغ منها من شدة مابه من ألم الموت ويقول له: ليس الآن يارجاء،

فحركه رجاء نحو القبلة، فتصعد روحه إلى بارئها ، فغطاه وأغلق عليه الباب وارسل إلى زوجه، لتنظر إليه بعد أن أخبرها أنه نائم ولايجب إيقاظه، ولم تطمئن الزوجة لهذا التصرف من رجاء بن حيوة فأرسلت رسولا لينظر إلى زوجها ، فوجده نائما فاطمأنت وانصرفت .

وجاء رجاء باحد الحراس وأمره ألايدخل على أمير المؤمنين أحدا . وأرسل رجاء بن حيوة إلى كعب بن حاجز الغس، ليحضر له أهل بيت سليمان ، فاجتمعوا فى مسجد واحد ، فقال لهم رجاء بن حيوة وكان عمر بن عبد العزيز معهم فى رواق المسجد :

بايعوا ؟ قالوا : لقد بايعناه مرة ، أنبايع مرة أخرى ؟! قال : نعم هذا أمر أمير المؤمنين ، بايعوا على ماأمر به فى هذا الكتاب المختوم . فقاموا رجلا رجلا مبايعين على مافى الكتاب.

ولما أيقن رجاء بأنه قد أحكم الأمر بينه وبينهم قال لهم :ا قدموا إلى صاحبكم فقد مات. قالوا: إنا لله وإنا إليه راجعون، اقرأ علينا كتاب أمير المؤمنين . فقرأ عليهم الكتاب، فلما انتهى إلى ذكر عمر بن عبد العزيز نادى هشام بن عبد الملك لانبايعه أبدا. فقال له رجاء بن حيوة: والله لنبايعنه أولأضربن عنقك. فايقن هشام بصدق قوله وجّده، فنهض يجر ساقيه ليبايع عمر بن عبد العزيز الذى

أخذه رجاء بن حبوة مّن منكبيه وأجلسه على المنبر وهو في ذهول مما سمع ورأى ويردد.إنا لله وإنا إليه راجعون.

فلما جاءه هشام بايعه وهو يسترجع أيضا فقال له عمر وقد فطن إلى مايرمى إليه من استرجاعه ، أى أن هذا الامر قد صار اليه على ولد عبد الملك ، قال له عمر: نعم فإنا لله وإنا إليه راجعون ياهشام حين صار إلى لكراهيتى له:

وغُسِّل سليمانُ وكُفِّن وصَلَّىَ عليه عمر بن عبد العزيز ، فلما فرغ من دفنه أتت مراكب الخلافة من المبارزين والخيول والبغال المطهمين ولكل دابة سائس للخليفة الجديد كما هو متبع فى ملك بنى أمية فقال عمر: ماهذا؟ قالوا :

مراكب الخلافة . فقال: دابتى أوفق لى من هذا كله. وتركهم عمر بن عبد العزيز وركب بغلته ، ونفسه نافرة مما ترى، بعد أن صرف الدواب، ثم أقبل نحو بيته فقالوا له: تنزل منزل الخلافة؟! فقال : فيه عيال أبى أيوب وفى فسطاطى كفاية حتى يتحولوا . فلما أشاروا عليه أن يجلس على فرش سليمان ليخطب الناس رفض هذه المشورة وقال:

فلولا التقى ثم النهى خشية الردى لعاصيت فى حب الصبى كل زاجر
قضى ماقضى فيما مضى ثم لاترى له صبوة أخرى الليالى الغوابر

ثم خرج إلى المسجد فصعد المنبر، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال:

{ أما بعد : فإنه ليس بعد نبيكم نبى، ولابعد الكتاب الذى أنزل عليه كتاب ، ألاإن ماأحل الله حلال إلى يوم القيامة ، وماحرم الله حرام إلى يوم القيامة. ألاإنى لست بقاض ولكنى منفذ ، ألاإنى لست بمبتدع ولكنى متبع، ثم ليس لأحد أن يطاع فى معصية الله ألاإنى لست بخيركم ولكنى رجل منكم، غير أن الله جعلنى أثقلكم حملا.. }

حكومة عمر

جاءت الخلافة إلى عمر بن عبد العزيز وهو لها كاره لأنها يعلم أنها حمل ثقيل ، ناء يحمله الأولون، فما أن استخلفه سليمان بن عبد الملك وقد دب الرعب فى قلبه دبيب الآجال فى الاعمار .إن جده الفاروق كان يستجير من هذا العبء بالله سبحانه وتعالى لأن وقوفه على رأس أمة محمد 'صلى الله عليه وسلم' أمر يقض المضاجع . فكان يدعو الله أن يقبضه غير مقصر، فقد ضعفت قوته ، وذاب شحمه ، وانقلب حاله من الخوف إلى حال المتبتل المتلهف إلى النجاة ، والفاروق عمر رضى الله عنه هو البطل الضليع بتحمل التبعات الجسام.. أما عمر بن عبد العزيز فلقد وجد نفسه مطوقا بطوق الخلافة المحكم حول عنقه، فلم يملك غير البكاء .. بكاء من يعلم ظلمات بنى أمية التى تعاقبت عليها السنون حتى استغصى حلها وهاهى الأن تترى أمام عينيه .. بكى عمر لما ينتظره من مهام ومسئوليات ينوء بها كاهل العظماء. امتلأ قلبه بالرعب والخوف من الله أن يظلم مثقال ذرة ، أوأن لايرد مظلمة

لمظلوم فيحاسب عليها حسابا شديدا سأل سالم بن عبد الله قائلا له وقد أشفق عليه : ياأمير المؤمنين ..
أتحب الرهم .؟ قال عمر :
لاأحبه .قال : لاتخف فإن الله سيعيذك .! وسأله أيضا عمر بن عبد العزيز عن سيرة الفاروق في الصدقات، ثم كلفه أن يكتب اليه بها ليعمل بها في رعيته ، فكتب اليه سالم بن عبد الله يحثه على فعل الخير قائلا:
{ إنك إن عملت بعمل عمر في زمانه ورجاله في مثل زمانك ورجالك كنت عند الله أفضل } ونهض عمر بن عبد العزيز لمسئوليته العظيمة ، ولمهامه الجسام ، نهوض رجل يعرف طريق العدل والحق، شمر عن ساعديه، فقد انتهى زمن الغفلة، وأيام التنعيم بمتع الحياة إن أمامه مهام عويصة ، إن أراد أن يسير على نهج السابقين من الراشدين. لقد أيقن منذ الوهلة الأولى أن هذا الأمر لايصلحه إلابما صلح عليه الأولون من ذوى العزم من الخلفاء الراشدين . كان عليه وهو ينشد العدل أن يرد المظالم إلى أصحابها، وعليه أن يبدأ إذا أراد بنفسه وأهل بيته. هنالك نهض عمر بعزيمة المصلحين الطالبين للعدل حيث يكون، فقام بتغيير ولاة بنى أمية من قبل سليمان بن عبد الملك، غير عماله من كل الأمصار وهى مهمة صعبة

على قوم تعودوا الملك والإمارة ، وتمرسوا على طبع القهر والتسلط حتى صار هذا ديدنهم ومن العسير الدربةعلىغيره من الطباع الحميدة.

وبدأ في تنفيذ التغير على وجه السرعة.ولى الكوفة عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب، وعزل عامرا الشعبى وضم اليه أبا الزناد كاتبا معه . وولى الحجاز عدى بن عدى الكندى وعزل ابن أبى طوالة. وولى البصرة عدى بن أرطاة، واستقصىالحسن بن أبى الحسن، وولى اليمن عروة بن محمد السعدى. وكذلك فعل فى أفريقية إذ جعل عليها اسماعيل بن عبيد الله بن أبى المهاجر، وعلى دمشق محمد بن سويد الفهرى ، وعلى خراسان الجراح بن عبد الله الحكمى، وجعل على المدينة أبا بكر بن محمد بن حزم.

ثار عمر بن عبد العزيز على أوضاع الأسرة الحاكمة وعلى تقاليدها البالية الظالمة، فاتبع فيهم هدى النبى صلوات الله وسلامه عليه وصاحبيه فى الصدقات والأموال والجزية ، وطريقة جمعها من الناس. شكا اليه الولاة فى الجزية التى يفرضها الإسلام على الذميين، وذلك لأن الذميين قد دخلوا فى دين الله أفواجا ، فاستاء الولاة لأن الجزية كانت موردا من موارد الدولة الإسلامية ، والتى تنفقها الدولة على المقاتلين نظير تمنع الذمى بالأمن

والحقوق المدنية والاستقرار ، فإذا ماأسلم الذمى سقطت الجزية عنه وخسرت الدولة ذلك المورد الحيوى . بلغت هذه الشكوى إلى عمر بن عبد العزيز، فأجاب عنها فى ايجاز بليغ.

كتب إلى كل الولاة قائلا: {إن الله جل ثناؤه بعث محمدا 'صلى الله عليه وسلم' داعيا إلى الاسلام ولم يبعثه جابيا.. هكذا كان ديدن عمر رحمه الله منذ أن تولى الخلافة، لايبعد عن الشريعة قيد أنملة، ولقد ساعده على ذلك روحه المؤمنة الوثابة التى كانت تنشر الحق وتتحرى العدل، كما أنه رحمه الله إتخذ بطانة من الصالحين والفقهاء العالمين ليكونوا عونا على ماهو فيه :

فقد اختار عشرة من الفقهاء بعد أن استخلف مباشرة لإقامة شرع الله وهم: عروة بن الزبير ، وعبيد الله بن عبد الله، وأبوبكر بن عبد الرحمن الحارثى ، وأبا بكر بن سليمان ، وسليمان بن يسار ، وسالم بن عبيد الله بن عبد الله بن عمر، وعبد الله بن عامر، وخارجه بن زيد بن ثابت قال لهم عندما اجتمعوا لديه بعد أن حمد الله وأثنى عليه.

{ إنى دعوتكم لأمر تؤجرون عليه وتكونون فيه أعوانا على الحق، مأريد أن أقطع أمرا إلابرأيكم أو برأى

من حضر منكم، فإن رأيتم أحدا يتعدى أوبلغكم عن عامل لى ظلامة ماحرج (بالله) على أحد بلغه ذلك إلا أبلغنى فجزاه خيرا ؛ وبدأ عمر بن عبد العزيز بأهل بيته، فرد ماكان بأيديهم من المظالم حتى أن عمر بن الوليد بن عبد الملك صرخ فى قومه قائلا:جاءكم رجل من ولد عمر بن الخطاب فوليتموه عليكم ففعل هذا بكم !!

كان منهج عمر رحمة الله عليه أن يبدأ بنفسه أولا، فنظر إلى مافى يديه من أرض ومتاع ، فرده إلى بيت مال المسلمين، حتى انه نظر فى فص خاتم كان معه إهداه إليه الوليد بن عبد الملك من غنائم المغرب فانتزعه من أصبعه ووضعه فى بيت المال . واستمر عمر بن عبد العزيز فى رد مظالم الناس حتى وصل إلى مظالم معاوية بن ابى سفيان وابنه يزيد :

فكتب إلى الولاة أنه من مات من أهل المظالم فعليهم ردها إلى الورثة بلا أدنى بينة، لعلمه الأكيد بظلم بنى أمية. وكتب إلى جميع ولاته يوجههم برد المظالم، فقد كانت نفسه الشريفة تأبى الظلم وتكره الظالمين، فها هو والى العراق يقول من كثرة ماكتب اليه عمر: كتب إلينا عمر بن عبد العزيز بالعراق برد المظالم إلى أهلها ، فرددناها حتى أنفذنا مافى بيت المال، حتى حمل إلينا عمر المال من الشام إنا بالعدل نملك قلوب الناس فاستقام له الامر، واستقام له

الناس. ولكن بنى أمية لم يكفوا عنه فقد أخرجهم مما كانوا فيه من خير مقيم ، ونعيم عظيم، فاجتمعوا عليه وكتبوا اليه كتابا، فلما قرأه استشاط غضبا وهددهم : فكفوا عنه إلى حين فقد كانوا يعلمون صرامته فى العدل وحبه للخير.إلاأنهم اجتمعوا لديه مرة أخرى فقالوا له:

إنك قصرت بنا عما كان يصنعه بنا من قبلك، وعاتبوه على صرامته معهم وامساكه المال عنهم فقال : لئن عدتم لمثل هذا المجلس لأشدن ركابى ثم لأقدمن المدينة ولأجعلنها شورى. فصبروا على مضض وهم كارهون.!

استطاع عمر بن عبد العزيز بخروجه من ماله كله ، وبزهده وشظفه وهو أكبر ملوك الأرض وقتئذ أن يضع لبنات القوة فى مجتمعه على العدل والإنصاف وأن يعيد للنفس البشرية رونقها ، وللإسلام روحه الوثابة، وهيبته العالية ، نهى عن القيام له وهو أعظم خليفة على الأرض، كما نهى عن الحراسة ، وفتح بابه أمام الناس اجمعين فلا حارس ولاحاجب يرد من يريد لقاءه . وأذل نفسه وقضى على أطماع الجوارح ، فهابه المترفون. وتواضع بسلطانه فرفعه المحكومون. صدقت نيته وعلانيته فأمنه الناس وليس هناك دلالة على ذلك من موقعه من زوجته فاطمة بنت عبد الملك التى كان يحبها قبل الخلافة، ونقول قبل

الخلافة لأن نفسه الزاهدة زهدت كل ألـوان الحيـاة مـن رخص مباحة أومتاع غير مباح.

كان عندها ذهب وجواهر، وهى سليلة بيت الملك فأبوها خليفة وكذلك أخوها وزوجها، فلما أفضت الخلافة إلى زوجها عمر قال لها: من اين صار هذا اليك؟ قالت : أعطانيه اميرالمؤمنين. قال : إما أن ترديه إلى بيت المال وأما أن تاذنى لى فى فراقك فانى اكره أن أكون أنا وأنت وهو فى بيت واحد . قالت : لا.. بل أختارك على أضعافه لوكان لى. فوضعته فى بيت المال وأراحت نفسها من بريقه، واستراحت نفسها من شهوة التملك وحسن الحظوظ التى تسعى وراءها النساء، حتى أنه لما فارقها عمر رحمه الله عرض عليها يزيد بن عبد الملك الذى تولى الخلافة بعده عرضه عليها أن يرده اليها اوأن يدفع لها قيمته . قالت: لاأريده . طبت به نفسا فى حياته وأرجع فيه بعد موته، لاحاجة لى فيه. فقسمه يزيد بين أهله وولده!!

واتبع عمر بن عبد العزيز سياسة واضحة فى المال لأنه يعلم أن المال هو مفتاح الشيطان إلى النفس الانسانية فإذا ماحطم ذلك المفتاح اغلق على الشيطان مسلكا واسعا

يرتع منـه. كـان مبدأه فـى حكومتـه أنـه اذا تعـارضت المصلحة المالية مع مصلحـة مـن مصـالح الشـريعة، رجـح بالمصلحة الشرعية والحكم الشرعى على كل ماسواه حتـى إذا أضر هذا بميزانية الدولـة التـى يحـرص الرؤسـاء علـى إنمائها. ولم يكن هذا المبدأ معمـولا بـه مـن قبـل، إنمـا كـل سـعى الـولاة وراء الامـوال لتمتلـئ بهـا خزائنهـم فينفقوهـا على المسرات والأهواء. فعل هذا عمر بن عبد العزيز فـى الجزية ، كما أسلفنا حتى لو أسلم كل الذميين فقد كـان ذلـك شيئا يسعده ويتمناه . أما الذين لايطيقونها فإنه أمر ولاته أن يخفف عنهم ثقلها . وكذلك فعل مع الخـراج فقد كتـب إلـى عامله على اليمن عروة بن محمد يقول :

{ أمـا بعـد: فـإنك كتبـت إلـى تذكـر أنـك قدمــت اليمــن فوجـدت علـى أهلهـا ضـريبـة مضـروبـة ثابتـة فـى أعنــاقهم الجزية يؤدونها على كل حال إن أحقبـوا أوأجدبـوا، وحيـوا أوماتوا . فسبحان اللــه رب العـالمين، ثـم سـبحان اللـه رب العالمين، ثم سبحان الله رب العـالمين.إذا أتـاك كتـابى هـذا فدع ماتنكرون من الباطل إلى ماتعرفه من الحق، ثـم إشـتق الحق فاعمل وإن أحاط بمهج أنفسنا ، وإن لم ترفـع إلى مـن جميع اليمن جفنة من كتم، فقد علم الله أنــى بهـا.مسـرور أذا كانت موافقه للحق والسلام.. }

هذه سياسه مبشرين لاسياسة جبارين متسلطين. كان منهجه من كتاب الله وسنة رسوله الكريم صلوات الله وسلامه عليه..

ألغى رحمه الله ضريبة المكس منذ أن علم بها فقد هداه قلبه أنها ضريبة البخس الذى نهى عنه الله عز وجل فقال: وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ. (١) وألغى العشوروالضرائب التى فرضتها الحكومة السابقة فقط وقال :

فأما المسلمون فعليهم صدقات أموالهم إذا أدوها فى بيت المال كتبت لهم بها البراءة، فليس عليهم عامهم ذلك فى أموال تابعة .

ومن سياسته الرشيدة ، أنه رحمه الله حرم النياحة على الميت ، ولطم الخدود، كما حرم اللهو والمجون، فقد كتب إلى ولاتهفى كل الأمصار يقول:بلغنى أن نساء من أهل السنة يخرجن عند موت الميت وهن ناشزات شعورهن يفعلن كفعل أهل الجاهلية ومارخص فى النساء فى وضع خمارهن منذ أمرن أن يضربن على جيوبهن فتقدم فى هذه النياحة تقدما شديدا، وقد كانت هذه عادةالأعاجم تلهو بأشياء زينها الشيطان لهم فازجرمن قبلك من المسلمين عن ذلك فلعمرى لقد آن لهم أن يتركوا ذلك مع مايقرؤون

---

(١) سورة هود آيه ٨٥

من كتاب الله فأزجر عن ذلك الباطل واللهو من الغناء وماأشبهه ،فان لم ينتهوا فنكل بمن أتى ذلك منهم متشددا فى النكال .

وفتح رحمه الله طريق البر والبحر للتجارة الحرة ورفع عنها الضرائب.

والمكوس وكان مذهبه فى ذلك قوله تعالى :

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَكُمُ ٱلْبَحْرَ لِتَجْرِىَ ٱلْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِۦ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ۝١٢﴾ (١)

ورای أن لايحول أحدا من الناس وبين البحر والبر فإن البر والبحر سبيلان مسخران لعبادالله قال تعالى ﴿وَتَرَى ٱلْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ۝١٢﴾ (٢)

وابتغى أمير المؤمنين فى الارض مقصدا للحق ، فأمر أن يكون تمام مكيال الارض وميزانها واحدا فى جميع الأرض حتى لايظلم المالك والأجير .. وحرم الاتجار على الأمراء وموظفى الدولة، وكتب إلى ولاة بذلك قائلا : ونرى أن لايتجر إمام ولايحل لعامل تجارة فى سلطانه الذى هو عليه ، فإن الأمير متى يتجر سيتأثر ويصيب أمورا فيها عنتا وإن حرص على ألايفعل. كما حرم السخرة بأنواعها،لانها لون من ألوان الظلم والاستعباد

---

(١) سورة الحاثية ١٢

(٢) سورة فاطر اية ١٢

وكان الامراء قبله يستولون على الارض الخصبة تحت سياسة الحمى فاستحوذوا على قطع كبيرة من الأرض واتخذوها حمى، وحرم منها الناس، فأبطل الحمى وشدد عليه وقال: نرى أن الحمى يباح للمسلمين عامة .وانما الامام فيها كرجال من المسلمين ، إنما هو الغيث ينزله الله لعباده وكلهم فيه سواء.. وكان من سياسته فى حكمه الرشيد تحطيم كل بدعة ، واماتة كل ضلالة ، ومحو كل شبهة تجر إلى متاهة. فقد حرم أن يدخل الخمر إلى أمصار المسلمين وحرم أهل الذمة الاتجار فيها . وحرم أن تنام المرأة بمفردها فى العراء.

وأمر أن تحطم قوارير الخمر، وتشق زقاق الخمور وأمر بضرب شارب الخمر ثمانين سوطا، فإذا عاد ثانية أمر بجلده وحبسه حتى يعود للخير..

وكتب إلى والى مصر ألاتزيد العقوبة عن ثلاثين سوطا إلاأن يكون حدا من حدود الله . وأمر عمر بن عبد العزيز ألايذهب أليه فى عيد النيروز والمهرجان الفارسى . كما نهى عن الهدية لأنها منفذ من منافذ السوء والخيانة، فسدها على نفسه وعلى جميع الامراء والعاملين فى الدولة، وقد كانوا يقبلونها مدعين أنها سنة ، وذلك عندما أهديت له هدية فقال هاديها إنها سنة من النبى 'صلى الله عليه وسلم' فقال عمر : هى لرسول الله صلى الله عليه وسلم هدية

وهى لنا رشوة ولاحاجة لى بها ، وحطم عمر رحمه الله قاعدة الملك العتيد فى بنى أمية ، إذ كانت قصورهم تعج بالحراس المدججين بالسلاح، ولاسبيل لأحد على دخولها، فحتم عليهم مايجرى فى بلادهم ومايحدث من ظلم لرعيتهم،وقد فتح بابه على مصراعيه لكل الناس ، لمن شاء أن يدخل أويدله على مظلمة لم يهتد إليها، بل إنه جعل مكافآت لمن يخبره بحقيقة المال : أويشير عليه بشيئ فيه مصلحة للمسلمين وكتب إلى أهل المواسم : أما بعد فأيما رجل قدم إلينا فى رد مظلمة أو فى إمر ينصح فيه لله يكون خاصا أوعاما من امر الدين فله مابين مائة دينار ، إلى ثلاثمائة دينار بقدر مايرى الحسبة وبعد السفر لعل الله يحيى به حقا أويميت به باطلا أويفتح به من ورائه خيرا .

وشدد على السخرة حتى فى الدواب ، فقد أتاه عامل البريد متوجها إلى الشام ، قاصدا اليه حين لم تسعفه دابته ، ركب دابة السخرة حتى أتاه وهو { بخناجرة } فقال عمر: مافعل جناح المسلمين؟ قال : وماجناح المسلمين ياأمير المؤمنين .؟ قال: البريد . قال : أتقطع فى ارض أومكان كذا وكذا . قال: فعلى أى شيئ أتيت إلينا ؟ قال : على السخرة فسخرت دواب النبط قال عمر: تسخرون فى سلطانى؟ ثم أمر به فجلد اربعين سوطا . ونهى عمر رحمه الله عن الإسراف والتبذير فى دواويين الحكومة، وكان هو

قدوة ومثلا أعلى للأمراء، فإذا أراد أن ينظر فى حوائج الناس ليلا أضاء شمعة من بيت المال، حتى إذا فرغ من ذلك أضاء شمعته وأطفأ شمعة بيت المال توفيرا لمال المسلمين ،ولم يكن تورعه وزهده على نفسه فقط، بل إنه رحمه الله طبق هذا النظام على ولاة الدوله ورجالها فكان يحثهم على الورع والزهد والخوف من الله فى أموال الامة، وأن يكونوا أشحة على انفسهم، كرماء على مصالح العباد أمناء على أموال المسلمين لاينفقون منها إلا بالقدر اللازم ، بخلاف ماتجرى عليه الحكومات فى هذا الإمان من اسراف وتبذير.

كان رحمه الله يعتبر الدرهم دما يغذى به فقراء المسلمين إذا ماحتاجوا إلى تلك الدماء فوفرها لهم. بعد ان يسر لهم معاشهم ، فهاهو يكتب إلى والىالمدينة أبى بكر محمد بن حرم يقول: أما بعد :

فقد قرأت كتابك إلى سليمان تذكر فيه أنه كان يقطع لمن كان قبلك من امراء المدينة من الشمع كذا وكذا يستضيئون به فى مخرجهم، فابتليت بجوابك به، ولعمرى لقد عاهدتك ياابن حزم وأنت تخرج من بيتك فى الليلة الشاتيه من غير مصباح، ولعمرى أنك يومئذ خير منك اليوم ولقد كان فى فضائل أهلك مايغنيك . وَالسلام. }

وكتب إليه أيضا، وقد طلب منه قراطيس يكتب عليها في مصالح ولايته: أما بعد : فقد قرأت كتابك إلى سليمان تذكر أنه كان يجرى على من كان قبلك من أمراء المدينة من القراطيس لحوائج المسلمين كذا وكذا فابتليت بجوابك فيه ، فإذا جاءك كتابى هذا فأرق القلم واجمع الخط واجمع الحوائج الكثيرة فى الصحيفة الواحدة فإنه لاحاجة للمسلمين فى فضل قول آخر يبعثر مالهم . والسلام عليك أضفى عمر بن عبد العزيز من عظمته على ولاته فهو العظيم الذى يعنيه أمر الدرهم الذى فاض بالخير مع عدله، حتى جاء عليه الوقت فلم يجد من يأخذ الصدقة. لقد كانت الحكومات السابقة تنظر إلى الخلافة كبقرة حلوب، تدرعليهم بالخير ليل نهار، ثم لاشأن لهم بالرعية أوأصول الحكم الشرعى ، إلى أن جاء عمر بن عبد العزيز فغير أحوال الرعية من الجور والعسف إلى سنة الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم التى سنها للأمة المحمدية ولقد كان لعمر بن عبد العزيز سياسة فى الصدقات هى أقرب ماتكون من السياسة العمرية. كان يجزل فى العطاء لكل محتاج معدم، أعطى للمتوفى، وأعطى للغارم ولكل المنصوص عليهم فى القرآن .

وربما أعطى فى العام الواحد عطاءين من وفرة المال لديه والذى كان منهوبا مسلوبا قبله ، عاد بهذه الأموال

الضائعة لمستحقيها العارقين فيها فهذا ثابت بن قيس يقول عن ذلك إنه سمع عمر بن عبد العزيز يقرأ عليهم:
{ إدفعوا كل منفوس لطرفى له، وادفعوا موتاكم، فأنما هو مالكم نرده عليكم. }(١)

وكان من عدله أن سوى فى القسمة بين الذمى والمسلم ممادفع الذميين إلى الإسلام بنفس راضية مطمئنه، كما كان يعطى ليتألف على الإسلام، كما أنه رحمه الله منع غزو الذمى فى سبيل الله مع المسلمين لأنه لايجوز أمانة كقول الرسول الأمين صلى الله عليه وسلم
{ يجيز على المسلمين أدناهم } (٢) وهذا ليس بمسلم.
وأجاز لليهود والنصارى فى القسم من الأموال قال { يجوز ذلك } وسن رحمه الله على الذمى إن أسلم والجزية فى كفة ميزان ترفع عنه حتى لو اسلم قبل انقضاء السنة بيوم .

واجه عمر بن عبد العزيز مشاكل الخلافة بجرأة وحلم،نقول مشاكل الخلافة وليس الملك ، لأن فى الملك ليس هناك عقبات كؤودا ، ولأنهم

---

(١) أى اعطوا من بيت مال المسلمين لكل مريض أو منفوس حتى الذى يموت يدفع له من مال المسلمين مثل المعاش ونفقه الجنازة ..
(٢) رواه مسلم

يعيدون بأفكارهم وسياستهم عن نهج الإسلام ، حتى مواقيت الصلاة لم تكن تقام فى مواعيدها ، إنما شغلهم السعى وراء المال والعلو على عباد الله .

فلما جاء عمر واستقام، له الأمر وعاد بالناس إلى سيرتهم الاولى حذره الأمراء فى بادئ الأمر من إسلام الذميين وضياع الجزية من خزينة المسلمين فواجههم بكل شجاعة فإن ماعند الله هو الباقى، فأسلم فى عهده الكثير منهم، وأمتلأت بعد ذلك خزانة الدولة بالذهب والفضة ، مما فاض عن حاجة الناس.!!

يقول يحيى بن سعيد: بعثنى عمر بن عبد العزيز على صدقات أفريقية فاقتضيتها، وطلبت فقراء فنعطيها لهم فلم نجد فقيرا ، ولم أجد من يأخذ منى، فقد أغنى عمر الناس، فاشتريت بها رقابا فأعتقتهم وولاؤهم للمسلمين.

وقال رجل من ولد زيد بن الخطاب: إنما ولى عمر بن عبد العزيز سنتين ونصفا فذلك ثلاثون شهرا فما مات حتى جعل الرجل يأتينا بالمال العظيم فيقول: إجعلوا هذا حيث ترون فى الفقراء، فما يبرح حتى يرجع بماله يتذكر من يضعه فيهم فما يجده، فيرجع بماله، فقد أغنى عمر بن عبد العزيز الناس .

ولاتزال حكومة عمر بن عبد العزيز حجة تاريخية لمن تسول له نفسه أن يتهجم على المسلمين وعلى الاسلام

كشريعة غـراء، تعمـل علـى اسـعاد البشـر جميعـا، فلقـد أغنى عمر بعدله كل فقير، ووسع بحلمه كل يـائس وشـمل بأمنه وخيره حتى الذئب أصبح الراعـى يـأمن علـى غنمـه منه فقد أطعم عمر الذئب فى الفلاة .

كما أمن الطرق والمواصلات فعاشت الناس بنعمـة اللـه وفضله إخوانا. واهتم رحمه الله اهتماما بالغا بالقضاء فهـو عنوان دولته ، ورمز عدله وتقواه. كتب إليه عبد الحميد بن عبد الرحمن قائلا: إنه رُفِعَ إلـى رجلٌ يسبُّك، فهممـت أن أضرب عنقه، فخشيته وكتبت اليك لأستطلع فى ذلك ؟

فكتب اليه عمر : أما بعد : أما إنك لو قتلته لأقدتك بـه إنه لايقتل أحد يسب أحدا إلامن سب النبى صلى اللـه عليـه وسلم . فأسببه إن شئت أوخل سبيله. ذاك هـو رأس الدولـة وعنوانها يخلى سبيل من سبه.!

وكان له رأى فى القضـاة وفـى اختيـارهم ، شـأنه شـأن عمر بن الخطاب رضى الله عنه . فقد وفد عليـه وفـد مـن الكوفة فسألهم عن واليهم وقاضيهم وبلدهـم ثـم قـال: خمـس اذا أخطأ القاضى منهما خصلة كانت فيه وصمة . أن يكون عالما ، وأن يكون حليما، وأن يكون عفيفا، وأن يكون لبيبا وأن يكـون ممـن لا يسـأل عمـا لايعلـم فيقـول لاأعلـم . ويقول ايضا : لاينبغى للقاضى أن يكون قاضيا حتى تكون فيه خمس خصال : عفيف حليم ، عالم بما كان قبله ،

يستشير ذوى الرأى ، لايبالى ملامة الناس وبهذه الخصال الحميدة عمل عمر بن عبد العزيز فى الرعية واضعا شريعة الله نصب عينيه، فمسح مافى قلوبهم من أدران انطوت فى غياهب النفس، لنتأمله وهو يخاطب عروة بن الزبير فى كتاب بعثه اليه فى اليمن وكان عروة يدقق فى تنفيذ أمر أمير المؤمنين خشيه أن يقع فى خطأ أويناله ضر بمايفعل كتب اليه عمر: أما بعد فإنى أكتب اليك أمرك أن ترد على المسلمين مظالمهم ، فتراجعنى ولاتعرف بعد المسافة مابينى وبينك ولاتعرف أحداث الموت حتى لوكتبت اليك أن اردد على مسلم مظلمة شاه تكتب ارددها عفراء أوسوداء . فانظر أن ترد على المسلمين مظالمهم ولاتراجعنى ! ومن محاسنه أنه كان يخاف أن يظلم أحدا فى رعيته كائنا من كان فهو يكتب إلى صراف بيت المال يحثه علي الرفق بأهل الذمة خوفا من أن لايرفعوا اليه مظالمهم يتهيبوا لقاءه، فهاهو يأمره بكتاب أن يرفق بهم وأن يصرف لهم استحقاقاتهم من المعاش ومايستعينون به على الحياة فيقول:

بسم الله الرحمن الرحيم :

من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى عدى بن أرطاة.

سلام عليكم ، فإنى أحمد إليكم الله الذى لاإله إلاهو .

أما بعد: فانظر أهل الذمة ، فارفق بهم إذا كبر الرجل منهم وليس له مال ، فأنفق عليه فإن كان له حميم فمر حميمه ينفق عليه ، وقاصه من جراحه كما لوكان لك عبد فكبرت سنه لم يكن لك بد من أن تنفق عليه حتى يموت أويعتق.

وكتب إلى أبى بكر محمد بن حزم ينصحه يقول له:

{ وإياك والجلوس فى بيتك، اخرج للناس فآس بينهم فى المجلس والنظر، ولايكن أحد من الناس أكثر عندك من أحد ولاتقولن هؤلاء من أهل بيت أمير المؤمنين، فإن أهل بيت أمير المؤمنين لا يقهرون من نازعهم وإذا أشكل عليك بشئ فاكتب إلى فيه } ثم إنه رحمه الله يقول فى إحدى خطبه فى المسجد ناصحا شفيقا مخلصا لنفسه بنفسه وعلمه مطمئنا لهم بعدله وكرمه يقول :

فلو كانت كل بدعة يميتها الله على يدى أوكل سنة ينعشها الله على يدى ببضعة من لحمى حتى يأتى آخر ذلك على نفسى كان فى الله يسيرا..!

ثم يقول لهم فى خطبة أخرى بالمسجد: أيها الناس، الحقوا ببلادكم فإنى أذكركم فى بلادكم وأنساكم عندى، ألا أنى قد استعملت عليكم رجالا لاأقول هم خياركم ولكنهم خير ممن هم شر منهم، فمن ظلمه عامله بمظلمة فلا إذن له على والله لئن منعت هذا المال قى وأهلى ثم بخلت به

عليكم إنى إذا لضنين، والله لولا أن أعيش سنة أوأسير بحق ماأحببت أن أعيش قواما..!! وقال عليه رحمة الله : والله لوددت لوعدلت يوما واحدا وأن الله توفى نفسى . فقال له ابنه عبد الملك: وأنا والله ياأمير المؤمنين لوددت لوعدلت فواق ناقة وأن الله توفى نفسك . فقال له عمر: الله الذى لاإله إلاهو؟ فقال ابنه : الله الذى لاإله إلاهو.
فقال عمر : جزاك الله خيرا.

استشف الناس منه والأقربون عدله وتقواه فاستراح الكل فى ظل عدله الظليل ، ومن محاسنه رحمه الله، أنه نهى عن المثلة ولو فى أضيق الحدود دونا عن سلفه من بنى أمية فقد كتب إلى عامل له يحذره مغبة هذا الفعل المشين قائلا : إياك والمثلة جر الرأس واللحية" وكتب إلى ميمون بن مروان يحذره من الجباية والضرائب قائلا: إنى لم إكلفك من ذلك مايعنيك، أجب الطيب من الحق، واقض بما استنار لك من الحق، فإن التبس عليك أمر فارفعه إلى، فلو أن الناس إذا ثقل عليك أمر تركوه ماقام دين ولا دنيا..!

وأرسل إلى والى البصرة يخبره أن أهل البصرة أصابهم خير كثير ويخشى عليهم الفتنة، فكان كتاب عمر خير رد وخير معلم. قال له:

{ إن الله رضى من أهل الجنة حين أدخلهم الجنة أن قالوا الحمد لله، فمر من قبلك فليحمدوا الله." !}

وكتب إلى أحد عماله يعظه فيقول له: إن قدرت أن تكون فى العدل والاحسان والصلاح كقدر من كان قبلك فى الجور والعدوان والظلم فافعل، ولاحول ولاقوة إلابالله !

تلك شمائل حميدة غرستها التقوى فى قلبه الصالح فانتقت تلك المضغة فصلح معها جسده وروحه والرعية، فهذا غلام له كان عمله أن يحتطب له ويلتقط له البعر ليدفأ عليه الماء ، فقال له الغلام يوما : ياأمير المؤمنين الناس كلهم بخير غيرى وغيرك!! فقال له عمر: اذهب فأنت حر لوجه الله .! وكان عنده غلام يحمل الاناء ليصب عليه الماء فى الوضوء فدفع الاناء النحاسى على رجل عمر، فتألم . فقال الغلام ، والكاظمين الغيظ .

فقال عمر : قد كظمت غيظى، فقال الغلام : والعافين عن الناس ، فقال عمر: قد عفوت عنك، فقال الغلام : والله يحب المحسنين، فقال عمر: إذهب فأنت حر لوجه الله .!!

تلك أخلاق حلافة بعيدة كل البعد عن نظام الملك، فحبه لمن سبقه من الراشدين وإتباعه لسننهم وهديهم الحقه التاريخ بهم فكان هاديا رشيدا، فكان يحزنه أن يجد فى رعيته رجلا مهموما أوحزينا أومدينا قدم عليه القاسم بن مخيمرة يسأله أن يقضى عنه دينه فقال عمر: كم دينك؟

قال : ستون دينارا. قال عمر: قد قضيناه عنك من سهم الغارمين ، فقال الرجل : ياأمير المؤمنين ، اغننى عن التجارة . قال له : بماذا؟ قال: بفريضة . قال :

قد قرضنا لك فى ستين وأمرنا لك بمسكن وخادم . فقال القاسم: الحمد لله الذى أغنانى عن التجارة إنى لأغلق بابى فما يكون لى هم، وكان يحب النظام فى موارد الأموال حتى لايختلط الحابل بالنابل وحتى لايترك فتحة يدخل منها الشيطان لنفس ضغينة من كثرة الاموال ، فقد قسمها عدةاقسام بحيث يسهل ترتيبها ومعرفتها . فجعل خمس بيت مال على حدة، وللصدقة بيت مال على حدة، وللفئ بيت مال على حدة فتيسرت له المراجعة والمحاسبة.!

وسار رحمه الله على نهج القرآن والسنة يعمل بتلك السياسة التىالفت قلوب الناس عليه بعد نفورهم من قومه وهذيت نفوسهم بعد جفوة من الزمن، تطيب جراحهم الأليمة فكانوا يدعون له بالخير، وجاهد بنو أمية أن يثنوه عن مبدئه فعجزوا، فقد صار ماهو فيه يسرى فى عروقه سريان الدم فى الجسد، دخلت عليه عمته من قبل قومها تعاتبه قائلة:

إن قرابتك يشكونك ويزعمون، ويذكرون انك أخذت منهم خير غيرك؟ فقال لها: مامنعتهم شيئا أوحقا كان لهم،

وقد بلغه أن بعض أهل البادية وممن تقلدوا الأمارة حديثا يتحابون إلى بعض القبائل العربية، شأنهم شأن الجاهلية ويزعمون أنهم ولاة على من سواهم خشى عمر بن عبد العزيز من تلك النعرة القبلية وهذه الانتقاضة الهمجية التى ستعود بهم إلى أيام العرب الاولى فى الحروب الطاحنة والمشاحنات الدائمة، فشق ذلك عليه وكتب هذه الرسالة :

" أما بعد :فإن الله جعل الاسلام الذى رضى به لنفسه ومن فكرم عليه من خلقه، لايقبل الله دينا غيره، أمر بما أنزل من كتابه الذى فرق بين الاسلام وبين ماسواه . فقال ﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ (1)

وقال : ﴿وَبِٱلْحَقِّ أَنزَلْنَٰهُ وَبِٱلْحَقِّ نَزَلَ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿١٠٥﴾﴾ (2)

فبعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم حين بعثه وأنزل عليه الكتاب حين أنزله وأنتم معشر العرب فيما قد علمتم من الضلالة والجهالة والجهد والفتك وتفوق الدار والفتن بينكم عامة، والناس لكم حاقدون متناثرون عليكم بالدين، وليس من ضلالتهم من شيىء إلاوأنتم على مثله، ومن مات منكم إلى النار، حتى أخذ الله

---

(1) ١٦ االمائدة
(2) ١٠٥ الإسراء

بنواصيكم عما كنتم فيه من عبادة الأوثان والتقاطع والتدابر وسوء ذات البين، فأنكر منكركم وكذب مكذبكم، ونبى الله عليه السلام يدعو إلى الله وإلى الإسلام، ثم أسلم معه قليل مستضعفون فى الأرض يخافون أن تتخطفهم الناس، فآواهم وأيدهم بنصره ورزقهم الله من فضله والدنيا مقبوضة عنه، والله منجز لرسله موعوده الذى ليس له خلف فيراه من يراه بعيدا إلاقليلا من المؤمنين فقال :

هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ (١)

وقال فى بعض مايعده للمسلمين

وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِى ٱلۡأَرۡضِ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمۡ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرۡتَضَىٰ لَهُمۡ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعۡدِ خَوۡفِهِمۡ أَمۡنًا يَعۡبُدُونَنِى لَا يُشۡرِكُونَ بِى شَيۡـًٔا

فأنجز الله لنبيه عليه السلام وأهل الإسلام الموعد الذى وعدهم فلم يعطكم ياأهل الإسلام ماأعطاكم من ذلك إلابهذا الذى تفلحون به على خصمكم وبه تقومون شهداء يوم القيامة، ليس لكم نجاة غيره، ولاحجة ولامنعة فى الدنيا والآخرة، فإذا أعطاكم الله منه أحسن يوم وعدتموه فارجوا ثواب الله فيما بعد الموت ......

---

(١) ٩ الصف

(٢) ٥٥ النور

فالله تعالى قال ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ (١)

واني احذركم هذا القران وتبعاته فإن تبعاته وشروطه قد أصابكم منها أيها الأمة وقائع من هراقة دماء وخراب ديار وتفرق جماعات، فانظروا مازجركم الله عنه في كتابه فازدجروا عنه، فإن أحق ماخيف وعيد الله يقول أوبعمل أوبغير ذلك فإنما يفضي إلى سبيل ملكه، ثم إن ماهاجني على كتابي هذا أمر ذكر لي عن رجال من أهل البادية، ورجال أمروا حديثا ظاهرا .

حقا وهم قبل عملهم بأمر الله اغتروا فيه بالله غرة عظيمة ونسوا فيه بلاءه نسيانا عظيما وغيروا فيه نعمه تغييرا، لم يكن يصلح لهم أن يبلغوه وذكر لي أن رجالا من أولئك يتحابون إلى مصر وإلى اليمن يزعمون أنهم ولاية على ماسواهم،وسبحان الله وبحمده، ماأبعدهم من شكر نعمة الله وأقربهم من كل مهلكة وتدالة وصغر، قاتلهم الله، آية منزلة نزلوا،ومن أي أمان خرجوا ؟ أوبأي أمر لصقوا ؟، ولكن عرفت أن الشقي بنيته يشتي، وأن النار لم لم تخلق باطلا، أولم يسمعوا قول الله تعالى

في كتابه ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ (٢)

---

(١) ٨٣ القصص

(٢) ١٠- الحجرات

وقوله تعالى ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗا﴾ (١)

وقد نهى رسول الله 'صلى الله عليه وسلم' عن الحلف وقال لاحلف فى الإسلام " وكم من حلف فى الجاهلية فلم يزده الإسلام إلاشدة، فكان يرجو أحد من الفريقين حفظ حلفه الآثم الذى فيه معصية الله ومعصية رسوله، وقد نزل الإسلام حين انخلع منه، وأنا أحذر كل من سمع كتابى هذا ومن بلغه أن يتخذ غير الاسلام حصنا أو دون الله ودون رسوله ودون المؤمنين وليجة تحذيرا بعد تحذير وأذكرهم تذكيرا بعد تذكير .

واشهد عليهم الذى هو أخذ بناصيه كل دابة والذى هو أقرب إلى كل عبد من حبل الوريد، وأنى آتيكم بالذى كتبت به اليكم نصحا، مع أنى لو أعلم أحدا من الناس يحرك شيئا ليأخذ له به أوليدفع عنه فدع إلى نصيحتى ومـاتقدمت إليكم به فإنه هو الرشد ليس له خفاء ثم ليكون أهل البر وأهل الإيمان عونا بالسنتهم، وأن كثيرا من الناس لايعلمون ، نسأل الله أن يخلف فيما بيننا بخير خلافة فى ديننا وذات بيننا والسلام ..!

---

(١) ٣ المائـــدة

وكذلك رسالته التى وجهها إلى منصور بن غالب حين بعثه على قتال أهل الحرب وفيها يتجلى إيمانه العميق وفقهه فى الدين الحنيف وكذلك فى الحرب حيث يقول :

"هذا ماعهد به عبد الله عمر بن عبد العزيز أمير المؤمنين إلى منصور بن غالب حين بعثه على قتال أهل الحرب، وحربه من استعرض من أهل الصلح، آمر فى ذلك بتقوى الله على كل حال نزل به من امر الله، فإن تقوى الله من أفضل العدة، وأبلغ المكيدة وأقوى القوة آمره أن لايكون فى شيء من عدوه أشد إحتراسا منه لنفسه ومن معه من معاصى الله، فإن الذنوب أخوف عندى على الناس من مكيدة عدوهم، وإنما نعادى عدونا وننتصر عليهم بمعصيتهم، ولولا ذلك لم يكن لنا قوة بهم، لأن عدونا ليس كعدوهم ولاعدتنا كعدتهم فلو استوينا نحن وهم فى المعصية كانوا أفضل منا فى القوة والعدد فإنا لاننتصر عليهم بحقنا ولانغلبهم بقوتنا ولاتكنوا العدواة لأحد من الناس،أحذر منكم لذنوبكم، واعلموا أن معكم من الله حفظة عليكم يعلمون ماتفعلون فى سيركم ونزلكم ، فاستحيوا منهم واحسنوا صحابتهم ، ولاتؤذوهم بمعاصى الله وأنتم زعمتم فى سبيل الله، ولاتقولوا إن عدونا شرمنا، فلن يسلطوا علينا وإن أذنبنا، فلربما قد سلط عليهم شرمنهم بذنوبهم فاسألوا الله العون على أنفسكم، كما تسألونه النصر على عدَوكم أسأل الله ذلك لنا ولكم، وأمره أن يرفق بمن معه فى سفرهم

ولايجشمهم مسيرا يتعبهم فيه، ولايبتعد بهم عن مقصدهم فيوهنهم، حتى يلقوا عدوهم والسفر لم ينقص قوتهم، فإنما يسيرون إلى عدو مقيم جسام الأهبة والكراع، فإن لم يرفقوا بأنفسهم وكراعهم فى سيرهم يكن لعدوهم فضل فى القوة عليهم بإقامتهم فى حجام الانفس والكراع والله المستعان .

وأمره أن يقيم ومن معه فى كل جمعة يوما وليلة يكون لهم راحة يجمعون فيها أنفسهم وكراعهم ويرمون أسلحتهم وأمتعتهم ، وأمره أن ينحى نزله من قرى الصلح ، فلا يدخلها أحد من أصحابه، لسوقهم وجماعتهم إلامن يثق بدينه وأمانته على نفسه، ولايصيبوا ظلما، ولا يتزودوا منها إثما ولايؤذوا أحدا من أهلها بشىء إلا الحق، فإن لهم حرمة وذمة ابتليتم بها، كما ابتلوا بالصبر عليها، فما صبروا لكم قفوا لهم ولاتستنصروا على أهل الحرب بظلم أهل أرض الصلح ، فلعمرى لقد أعطيتم مما يحل منهم ، مايغنيكم عنهم ، فلم أترك لكم خلالا فى العدة ولارقة فى القوة فتظاهرت واكتفت لكم العدد، واستخيرت لكم الجند، فلم أجعل لك علة فى التقوية ؟

وبالله الثقة ولاحول ولاقوة إلابالله. وأمر أن تكون عيونه على العرب وممن يطمئن إلى نصيحته وصدقه من

أهل الأرض، فان الكذوب لاينفع خيره وان صدق في بعضه ، وان الفاسق عين عليك وليس بعين لك. والسوم عليك وكان يوصي أمراء الاحقاد في سجونه قائلا :

{ انظروا من بالسجون ممن قام عليه الحق، في تحبسه حتى تقيمه عليه ومن أشكل أمره فاكتب إلى فيه، واستوثق من أصل الزعارات فان الحبس لهم نكال ولاتتعد في العقوبة وعاهدوا غريمهم ممن لاحد له ولامال واذا حسبت احدا أو قوما ذا دين ولا تجمع بينهم وبين أهل الزعارات في بيت واحد ولاحبس واحد .

واجعل للنساء حبسا على حده وانظر من تأتمن على نفسك ممن تثق به، ومن لايرتشى فان من ارتشى صنع ما أمر به } وكان يوصي امراء جنده ايضا ...

ان لا تقاتلون حصنا من حصون الروم حتى تدعوهم إلى الاسلام فإن قبلوا فاكفف عنهم، وان أبوا فالجزية فان أبوا فأنبذ اليهم على سواء، ان المتأمل في حكومة عمر بن عبد العزيز وسياسته في رعيته ليدرك منذ الوهله الأولى أنها حكومة خلافة وليست حكومة ملك .

فقد كثف جهده وعمله في اصلاح الرعية . وطريقه الشظف والكفاف

حرم نفسه واهله ليصلح على الناس ما افسده الدهر .

ولم يكن له واق في حياته غير ايمانه الكبير بالحساب والعقاب ومسئوليه الحاكم امام الله .

عمر وآل البيت

منذ أن استشهد الحسين وذووه فى كربلاء بالعراق حتى انتقلت الخلافة إلى معاوية بن أبى سفيان فى الشام ، فعمل فى آل البيت وأنصارهم بالسيف والنكال ، وجعلها ملكا عضوضا لبنى أمية بدءا من ابنه يزيد .

اضطهدوا آل البيت فى كل مكان، وسقطت رءوسهم ظلما وابرد بها إلى الفجره، وسبوا عليها كرم الله وجهه من فوق المنابر، ورفعوا عنهم العطاء وفئ المسلمين فتفرقوا فى طول البلاد وعرضها خوفا من بطشهم وجبروتهم وتسلطهم .

وكأنما أرسل الله سبحانه وتعالى عمر بن عبد العزيز الأموى ليلم شعتهم ويؤمن خوفهم ويطعم فقيرهم، بعد طول هجر وقطيعة من الأهل وأولاد العم، فحكومة عمر قامت على دعائم قوية راسخة هى العدل. والخوف. والحب وهى منارة فى عالم الاسلام الذى يدعو إلى مكارم الاخلاق .

تلك كانت بدايه لعمر لاغنى له عنها ومفتاحا لشخصيته الفذة وعنوانا لعبقريته الفريدة ..

فما أن استخلِف حتى ملأت شهرته الآفاق، علم به وبمفتاح شخصيته القاصى والدانى، فعرفوا فيه العدل الذى

ينشدون والحدب الذى يبغون، وأنه لم يغلق بابه عن طالبه بعد أن طرد الحراس ، وأمن عذر الناس بعدله وتقواه. جاءه بعد أن استخلف شيخ عجوز، امتلأ شعره بالشيب وتدلت لحيته حتى صدره، قد أعياه الدهر، واخذت منه الأيام مأ خذها ، وقف أمام عمر بن عبد العزيز ذى القلب الرحيم النابض بالتقوى وحب الناس فعقدت الدهشة لسانه فلم يسأل الواقف أمامه عن اسمه ، ولاعن شخصه ، فقد هاله ما رأى .

فقال فى حنان وود ماحاجتك أيها الشيخ ؟

فقال الشيخ فى صوت ضعيف ينوء تحت وطأه المشيب:

ليس بى حاجة قبل ان تؤمننى .

قال عمر فى دهشة بالغة .

أنت آمن والذى نفسى بيده ..تكلم ماحاجتك وما اسمك ؟

قال الشيخ انا فلان .. ولكن من ورائـــى ..

وازداد فضول عمر بن عبد العزيز فقال فى لين واضح

ومن هم من وراءك ومن أنت ؟

قا ل الشيخ : أنا قنبر مولى الامام على بن أبى طالب ..

فاذا بعمر ينهض من مكانه كمن لدغ ، واذا به يقربه اليه ويجلسه على حاشيته وهو يقول : مرحبا بمولى مولاى ..

وكأنما أعاد على ذهن قنبر سيرته الأولى فقال ..
أتقول يا أمير المؤمنين مولى مولاى ؟
قال عمر : نعم ألم يقل النبى صلى الله عليه وسلم من كنت مولاه فعلى مولاه ..قال قنبر .بلى : قال له عمر :من وراءك .قال قنبر .آل البيت

وكأنما انقلب ميزان عدل عمر .. كيف غاب عنه هذا؟ ولو لحظة واحدة .. كيف يكون عادلا وقد حرم آل بيت النبى صلى الله عليه وسلم من حقوقهم الشرعية ؟ بل ومن أدنى حق يناله مسلم فى رعيته فهب وكله قوة وإصرار يرسل إليهم، وقد تشردوا فى البلاد ويواصل لهم العطاء وشملهم بعدله وكرمه .

ثم إنه رحمه الله أمر ألايسبّ علىٌّ فوق المنابر، كما كان متبعا فى بنى أمية وقال . مكان سبه : إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (١)

وفى ذلك يقول كثير عزة الشاعر الخزاعى :

وليت فلم تشتم عليا ولم تخف ... بريا ولم تتبع مقالة مجرم
تكلمت بالحق المبين وإنما ... تبين آيات الهدى بالتكلم
فصدقت معروف الذى قلت بالذى ... فعلت فأضحى راضيا كل مسلم

وبحث عمر بن عبد العزيز فى رد حقوق آل البيت التى اغتصبت من قبل بنى أميه، حتى تضوروا جوعا ، وهم قوم لاتجوز عليه الصدقة .!

---
(١) ٩٠ النحل

فعل معهم عمر بن عبد العزيز ماكان يفعله الخلفاء الراشدون المهديون كسا من كان عاريا، وأطعم من كان لايجد قوت يومه ، وآمنهم من خوف وبطش الظالمين.سأل عمر بن عبد العزيز عن { فدك } التى استولى عليها النبى صلى الله عليه وسلم فى حربه مع يهود بنى خيبر ، فكانت له ولأبن السبيل وسألته ابنته فاطمه عن { فدك } أن يهبها لها فأبى رسول الله ذلك عليها فلم يطمع فيها طامع ، ثم توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم والامر على ذلك ، فولى أبو بكر رضى الله عنه فسلك بها ماكان رسول الله 'صلى الله عليه وسلم' يفعل ، ثم توفى أبو بكر وولى عمر رضى الله عنه فسلك بها ماكان رسول الله 'صلى الله عليه وسلم' يفعل، ثم كان عثمان فمثل ذلك فلما ولىمعاويه ، ولى مروان بن الحكم المدينة، فكانت بيد مروان ، يبيع ثمرها بعشرة الاف دينار كل سنه ثم نزع مروان عن المدينة وغضب عليه معاويه فقبضها منه، فأبى معاويه أن يعطيها له ، وطلبها سعيد بن العاص فأبى معاويه أن يعطيه فلما ولىَّ معاوية مروان المدينه المرة الأخرة ردها عليه بغير طلب ، ورد عليه غلتها فيما مضى ، فكانت بيد مروان فأعطى عبد الملك نصفها وأعطى عبد العزيز بن مروان نصفها .

فذهب عبد العزيز بنصفها الذى كان بيده لعمر بن عبد العزيز فلما توفى عبد الملك وهب عمر بن العزيز إلى الوليد حقه فوهب له،وطلب إلى سليمان حقه فوهب له ولم يبق من أعيان بنى عبد الملك حتى خلعت لعمر بن عبد العزيز . لما تحرى امرها عمر عبد العزيز، وجد أن فدك هى كل ثروته التى ينفق منها على معاشه هو وأولاده، فعز عليه أن يمتلك فى حوزته مالا غير ماله وحقا هو بعيد كل البعد عن حقوقه الشرعية ..

لقد رفضها من قبل أبى بكر وعمر رضى الله عنهما كما رفضها عثمان بن عفان وكانت غلتها وقفا لآل البيت وابن السبيل والمحتاجين من الفقراء، وأبت نفسه الشريفة وروحه الطاهره أن تظلم مثقال ذرة وهو الأواب المنيب فكتب إلى والى المدينة أبو بكر بن حزم يقول :

{ بسم الله الرحمن الرحيم }

من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى أبى بكر محمد، سلام عليك ..

فإنى أحمد إليك الله الذى لاإله الا هو .. أما بعد ..

فإنى نظرت فى أمر فدك . وفحصت عنه فاذا هو لايصلح لى ، ورأيت أن أردها على ماكانت عليه فى عهد رسول الله وأبى بكر وعثمان، واترك ماحدث بعدهم فاذا جاءك كتابى هذا ، فأقبضها ولها رجلا يقوم فيها بالحق والسلام عليك ..

ثم إن عمر بن عبد العزيز رحمه الله لم يهدأ له بال حتى يرد حقوق آل البيت غير ناقصة ، فسأل رحمه الله عن خمس رسول الله صلى الله عليه وسلم وهل كانت من خيبر ام كانت لرسول الله خاصة .

كتب اليه أبو بكر بن حزم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج له سهم الكتيبة فكان له سهم الكتيبه وهو الخمس ، ولم يغب الامر عن عمر بن عبد العزيز إذ سرعان ما أرسل إلى أبى بكر بن حزم وأعطاه خمسة آلاف دينار ، على ان يكملها إلى عشرة آلاف ليوزعها على بنى هاشم وأن تؤخذ هذه الأموال من سهم العشيرة ،ثم تقسم بالتساوى بينهم الذكر مثل الأنثى والكبير مثل الصغير سواء ..

وقسم أبو بكر على بنى هاشم بالتساوى فأصاب كل واحد فهم خمسين دينارا حتى أن فاطمه بنت الحسين رضى الله عنهما استدعت أبا بكر بن حزم وقالت له وهى مسروره راضية عما فعل اكتب يقول أبو بكر بن حزم .. فكتبت :

{ بسم الله الرحمن الرحيم }

لعبد الله عمر أمير المؤمنين من فاطمه بنت الحسين سلام عليك :

فإنى أحمد إليك الله الذى لاإله إلا هو .. أما بعد..

فأصلح الله أمير المؤمنين، وأعانه على ماولاه وعصم له دينه ، فإن أمير المؤمنين كتب إلى أبى بكر بن حزم أن يقسم فينا مالا ويتحرى بذلك ماكان يصنع من كان قبله من الائمه الراشدين المهديين ، فقد بلغنا ذلك، وقسم فينا فوصل الله امير المؤمنين وجزاه من خير ماجزى واحد من اوليائه ، فقد كانت أصابتنا جفوة ، وأصبحنا إلى من يعمل فينا بالحق، فأقسم لك بالله يأمير المؤمنين لقد اختدم من آل رسول الله صلى الله عليه وسلم من كان لاخادم له ، واكتسى من كان عاريا واستنفق من كان لايجد مايستنفق وأرسل أبو بكر بن حزم برسالتها إلى امير المؤمنين، فسر بذلك سرورا كبيرا ،حيث ارتضى لهم مايرضون به ،ودفع عشرة دنانير لحامل الرساله المبشرة ثم أرسل لها خمسمائة دينار وقال لها

مع حامل الرساله :

استعينى بها على مايعوزك ؛ وتقول فاطمة بنت الحسين رضى الله عنهما وهى تترحم على عمر بعد وفاته : دخلت على عمر بن عبد العزيز وهو أمير المؤمنين يومئذ فأخرج عنى كل خصى وحرس حتى لم يبق فى البيت غيرى وغيره ثم قال : يابنت على ، والله ماعلى ظهر الارض اهل بيت أحب إلى منكم ، ولأنتم أحب إلى من

أهل بيتى ، اما قسمة بنى هاشم فقد نحى أبو بكر بن حزم بنى عبد المطلب من القسمه فقال له بنو هاشم لانأخذ درهما واحدا حتى يأخذوا .. فأرسل إلى عمر رحمه الله يسأله عن ذلك فجاء كتاب عمر يقول :

إنى لعمرى مافرقت بينهم، وماهم إلا من بنى عبد المطلب فى الحلف القديم العتيق، فأحبهم كبنى هاشم وكان من سياسته أن يرضى كل الناس وأن يشمل عدله ذوى الأرحام وذوى القربى من آل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم .. كان يحب العدل المغلف بالرحمة والتقوى النابعة من قلب سليم .. حتى سماه الناس بالعادل البكاء من كثرة ماكان يبكى من خشية الله والخوف من الله .

جاء رجل صالح فقال له : يا أمير المؤمنين رأيت فيما يرى النائم كأن بنى هاشم شكوا إلى النبى الحاجه فقال لهم صلى الله عليه وسلم فأين عمر بن عبد العزيز ؟ فظل عمر بن عبد العزيز يبكى حين سمع الرجل، حتى كادت تتحطم ضلوعه ، فقد أتته الشهادة العظمى ممن لانبى بعده ،وهى شهاده تثقل بعمله كل ميزان ، ذاك هو عمر الأواه المنيب الذى كان يخاطب قومه مع شدة عدله وتقواه ؛ لو قسمت فيكم قسمين عاما ما استكملت فيكم العدل ، إنى لأريد الأمر وأخاف أن لاتحمله قلوبكم فأخرج معه طمعا من الدنيا وإن أنكرت قلوبكم هذا سكنت إلى هذا ..

العَالِمُ التقــى

لو لم يكن عمر بن عبد العزيـز خليفـه فكـان عـالم أهـل زمانه . فقد تعلم علوم القرآن الكريـم، وحفظـه عـن ظهـر قلـب وهـو صغير، فاستقام لسـانه العربـى بآياتـه البينـات، وتعلم الفقه وعلم الحديث فبذ العلماء بفطنتـه اذ وقـف علـى حدود علمهم ولم يقفوا له على شاطئ مـن بحـره الزاخـر ، فمن خطبه التى تحمل معانى البلاغه والادب قوله فى سطر واحد فى كتاب ارسله إلى احد عماله .. أما بعد ..

فما بقاء الانسان بعد وجود سـلطان ، فـإذا أتـاك كتـابى هذا فأعط كل ذى حق حقه ..

وفى وصيتة لعمرو بن قيس حين أرسـله إلـى الصـائفـه فقال له : ياعمرو لاتكن أول الناس تقتل فينهـزم أصحـابك ولاتكن آخرهم فتثبطهـم وتجبنهـم ولكـن كـن وسـطهم حيـث يرون مكانك ويسمعون كلامك ، وفاء من قدرت عليه مـن المسـلمين وأرقـائهم وأهـل ذمتهـم .وقولـه مـن جعـل دينـه عرضا للخصومات أكثر التنقل ..

وقوله:{ إن الكلام فقه وإن الفعل أولى بالمرء من القول..}

وقوله:{ قد أفلح من عُصِم من المراء والغضب والطمع ..}

وقوله:{من عمل على غير علم كان مايفسد أكثر مما يصلح

ومن لم يعد كلامه من فعله كثرت خطاياه والرضا باقليل ويقود المؤمن إلى الصبر)

وجلس يوما فجاءه رجل من الانصار فقال : ياأمير المؤمنين :

أنا فلان بن فلان قتل جدى يوم بدر وقتل أبى يوم أحد ، فجعل يذكر مناقب أبائه، فنظر عمر إلى عتبة بن سعيد وكان بجواره فقال :

هذه والله المناقب ثم أنشد تلك المكارم لاقيعان من لبن شيب بماء فصارت بعد أبوالا .

وكتب إلى عامله يوصيه فيقول :

أما بعد :

فأصلح الذى بينك وبين الله، واعلم أنى قد أشركتك فى أمانة عظيمة فإن اضعت حقا من حقوق الله كنت أهون خلقه عليه ثم لايغنى عنك عمر من الله شيئا ..

وقال عمر عن على وعثمان ومعركه الجمل وصفين تلك دماء كف الله يدى عنها ، وأنا أكره أن أغمس لسانى فيها

وأملى على كاتبه يوما:بسم الله الرحمن الرحيم فلم يكتب الكاتب السين فعزله !

ورأى صبية يكتبون بسم الله على الارض فنهاهم بشدة ..

سأله ارطأه بن المنذر أن يتخذ حرسا ويحترز فى طعامه وشرابه فقال:

اللهم إن كنت تعلم إنى أخاف شيئا دون يوم القيامه فلا تؤمن خوفى..

ومن اشعاره قبل أن يصبح خليفه قوله :

انه الفؤاد عن الصبا — وعن انقياد للهوى
فلعمر ربك ان فى — شيب المفارق والجلا
لك واعظا لو كنت تتعظ — اتعاظ ذوى النهى
حتى متى لاترعوى — وإلى متى وإلى متى؟
مابعد أن سميت كهلا — واستلبت اسم الفتى
بلى الشباب وأنت أن — عمرت رهن البلى
وكنت بذلك زاجرا — للمرء عن غى كفى

الزاهد التقى

زهد عمر بن عبد العزيز النعيم منذ أن صار خليفة المسلمين كان قبل أن يستخلف منعما مترفا يغرف من لذات الحياه ماشاء فكان أكله ماتشتهى نفسه ممالذ وطاب ويلبس الحرير وفاخر الثياب ، بل ربما أتوا له بالثوب الحرير الغالى الثمين فيطلب ماهو أفضل منه .

كان رحمه الله من احسن الناس وأطيبهم ريحا واحلاهم فى مشيته .

فما أن وضع الله عز وجل الأمانة فى عنقه حتى تبدل حاله كلية فلم يعد يستطيب الطيب ، ولم يعشق ما يلبس على جسده ان كان صوفا أو حريرا ، أما طعامه فقد كان اعف من الفقير ، وأما تبختره وخيلاؤه فقد تبدل إلى الخشوع والتبتل حتى صارت مشيتة تحاكى مشية الرهبان زهد الدنيا منذ أن أدخل قصر الخلافه ، ولم يركب فى مهرجان قط منذ ولى أمارة المؤمنين ، فقد كانت له بغله شهباء هى مركوبه فى كل الانحاء ، فما أن دخل قصر الخلافة حتى نظر إلى ماكان له من عبيد قائمين على خدمته، وإلى لباسه وعطره ،وأشياء من الفضول كثيرة فباعها إلى رجل يمنى فبلغ ثلاثة وعشرين ألف دينار وضعها فى بيت المال لابن السبيل

وبلغ به الزهد أنه لم يضئ شمعة من بيت المال إلا في حاجه المسلمين أما شموع قصره فكانت من نفقته الخاصة التى لم تكن تفى بحاجة اولادة أذل نفسه إذلالا لله عز وجل فكان يغسل ثيابه بنفسه وينتظرها حتى تجف فيرتديها، حتى عتبة بيته رآها المقربون له وقد تهدمت فسألوه مرارا اصلاحها ،فقال لمزاحم الذى يسأله : يامزاحم هل لك أن نتركها فتخرج من الدنيا ولم تحدث شيئا .

كما أنه لم يطل طلاء جديدا على أى بناء حتى مات ، جعل كل همه ووقته لرد المظالم إلى أصحابها وازالة شكوى الشاكين ، ونصرة المستضعفين ، وارتقاء بالنفس المحرومة إلى العزة والكرامة، لم ينظر إلى نفسه لحظة واحدة، ولم يعمل لدنياه وبقائه فى الحكم مثل غيره من الحكام الذين يتجاهلون حقوق العباد ، فى معيشتهم، لم يشغل فكره وذهنه بتفاهات الدنيا الا بمقدار ماتصل به إلى الأخره خالى الوقاض فقد كان يسعده ويبهج قلبه أن ينصر مظلوما ويطعم جائعا ويكسو عريانا حتى رق جسده وتغير حاله من حال إلى حال، دخل عليه محمد بن كعب وكان معه وال على المدينه وكان عمر يومئذ حسن الجسم ، وحسن المنظر فجعل محمد بن كعب ينظر إليه ، نظرا شديدا لايطرف له جفن

مأخوذا مشدوها بما يرى أمامه فقال عمر يابن كعب ، مالى أراك تنظر إلى هكذا ،ولم تكن تنظر إلى قبل ذلك ؟ قال :ياأمير المؤمنين عهدى بك حسن الجسم ، وأراك وقد اصفر لونك وذهب شعرك !

فقال : يا بن كعب : فكيف بك لو قد رأيتنى فى قبرى بعد ثلاث وقد اندثرت الحدقتان على وجنتى ، وسال منخراى وفمى صديدا ودودا فكنت لى أشد نكرة فقال له محمد بن كعب وقد عرف أنه ليس من أهل الدنيا ولاينتمى إليها إلا ليعدل ويعرف الحق .. قال له ياعبد الله ، إن كنت قد ألهمت هذا الأمر بنفسك ، فانظر ان تنزل عباد الله عندك ثلاثة منازل :

أما من هو أكبر منك فأنزله كأنه أب وأم من كان بسنك فأنزله كأنه أخ لك ، وأما من كان أصغر منك فأنزله كأنه أبن لك : فأى هؤلاء تحب أن تسيئ اليه او يرى منك بعض مايكره ؟

قال عمر : ولا إلى أحد منهم ياعبد الله، ودخل عليه يوما رجل يدعى عتبة بن سعيد ممن كان يعطيه ملوك بنى امية . فقال لعمر إن الخلفاء قبلك كانوا يعطوننا عطايا وإنى أراك قد منعت هذا المال عن نفسك واهلك وأرى أم تأذن لنا فنرجع إلى ديارنا فقال عمر : ألأ إن أحبكم إلى من فعل ذلك ، فلما سار الرجل من امامه قال له عمر

ناصحا مشفقا ياعتبه : أكثر ذكر الموت فإنك لاتكون فى ضيق من أمرك معيشتك فتذكر الموت الا اوسع ذلك عليك، ولاتكون فى سرور وغبطة فتتذكر الموت الا ضيق ذلك عليك .

هكذا كان يرد الناس عن بيت مال المسلمين بالحسنى والنصيحه والرحمه وكان يحثهم على ذكر المعاد ويوم الحساب لأنه لم ينسه لحظة من أيامه ، مما جعله يضيق علىأهله ليعبر بهم ذلك المضيق وهذا الاختبار الرهيب ، دخل عليه محمد بن الزبير الحنظلى ليلة وهو يتعشى كسرا وزيتا ، كما كان يفعل جده الفاروق.فقال له عمر: أدن فكل فقال له محمد وهو فى عجب من أمره : بئس طعام المقرور ..

فأنشده عمر بن عبد العزيز قائلا :

إذا مامات ميت من تميم وسرك أن تعيش فجيئ بزاد

بخبز او بلحم أو بتمر أو الشئ الملفف فى البجاد

ثم استطرد :

ليأكل رأس لقمان بن عاد

فقال له : ياأمير المؤمنين : ماكنت أرى هذا البيت فيها؟

فقال له أمير المؤمنين : بل هو فيها ..

تراه بنقل البطحاء شهرا ليأكل رأس لقمان بن عاد

وحين استخلف رحمه الله كره الاختيال فى مشيته فعاوده طبعه القديم مره ذات يوم ،حرك يده مختالا ، فأمسكها مسرعا ،وجلس فى مكانه يستغفرالله وهو يبكى ..

ولنتأمله وهو الذى أذل نفسه مثلما فعل من قبله المؤمنون نتأمله وقد اشتهت تلك النفس الانسانيه التفاح ، فبعث إلى بيته فلم يجد فى بيته شيئا يشترونه به ، فركب وركب معه أصحابه ، فمر بدير فأستقبله غلمان الدير بالفرحه وقدموا لهم أطباقا فيها تفاح ، فوقف على طبق منها، فتناول تفاحه فشمها ثم أعادها إلى الطبق ..

فقد عاهد نفسه ألا يُطعمَها مما تشتهىَ حتى لاتشتهى بعده شيئا ثم التفت إلى الغلمان وقال محذرا : لأعلمكم بعثتم إلى أحد من أصحابى بشىء فلما تحرك مع أصحابه سأله واحد منهم : يا أمير المؤمنين أتشتهى التفاح فلم يجدوه لك فأهدى اليك فرددته ؟ قال : لاحاجه لى فيه قال : الم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو بكر وعمر يتقبلون الهدية ؟

قال عمر : إنها لأولئك هدية وهى للعمال بعدهم رشوة هذا هو الإسلام الذى يرتقى بأصحابه رقيا يبلغ بهم القصد ويحقق لهم الأمانى المنشودة رغم أنف الحاقدين والحاسدين ، الذين يكبدون له بالطعن والإيذاء، أفلا يتدبرون تلك السنن البيضاء التى تهدى إلى البر وتبلغ بهم إلى ماعند الله ، وهو مع هذا لايمنع الطيبات من الرزق الحلال ولايحرم ما أحل الله ، ولكن يهذب النفس الجشعه ويحتث منها السواد ليرتقى بها إلى درجَات الصالحين الزاهدين القانتين الشاكرين .

ولنتامل زهده فى الحياة وعفافه مع أهله وبيته لنضع ذلك الرجل الفذ موضعه فى التاريخ لقد اتخذ دارا لاطعام المساكين والفقراء وابن السبيل ثم قال لأهله :

إياكم أن تصيبوا من هذه الدار شيئا من طعامها فإنما هو للفقراء والمساكين وأبن السبيل .فاجأه يوما أن مولاه له معها صحفة فيها غرفة من لبن فقال لها : ماهذا ؟ فقالت : زوجتك فلانة حامل كما علمت واشتهت غرفة من لبن والمرأة إذا كانت حاملا فاشتهت شينا فلم تؤت به تخوفت على مافى بطنها أن يسقط ، فأخذت هذه الغرفة من هذه الدار .

فأخذ عمر مابيدها وتوجه بها إلى زوجته وهو عالى الصوت وقد اشتد غضبه ويقول :

إن لم يمسك مافى بطنها الا طعام المساكين والفقراء وابن السبيل فما أمسكه الله، فدخل على زوجته فقالت له : مالك ؟ قال :

تزعم هذه أنه لايمسك مافى بطنك إلا طعام المساكين والفقراء وابن السبيل .

فإن لم يمسكه إلا ذلك فلا أمسكه الله، قالت زوجته : رديه ويحك والله لاأذوقه أبدا ،كان كل عمله وفعله يقصد به وجه الله ولايرجو به سواه ولايخاف الا أياه ، كان فى إمكانه وبلادُ المسلمين مترامية الأطراف

شرقا وغربا من حدود الصين إلـى بـلاد الأندلـس ، أن ينعم فى النعيم ويرفل فى جنان الأرض وخيراتها ،فيغـترف منها ماشاء، ولكن ترك الدنيا وراء ظهره، وقصد بمـا هـو أبقى من نعيم ، وخلود مقيم عند المولى عز وجل ، وسد بحكمته أبواب الاشتهاء ونمى أكثرها ، ضمـن علـى نفسـه وأهلة مقومات الحياة ليقفل فى وجه الطامعين والمـتربصين له كل أبواب الحرام فيقع كل مايحذر فيه ويقول عن نفسـه رحمـة اللـه عليـه ، فمـا كـان مـن خـير أتيتـه فيعـون اللــه وهدايته وإليه أرغب فى بركته وماكان غـير ذلـك فأستغفر الله لذنبى العظيم .

كان يعلم ثقل المسئولية منذ ولـى أمـر المسـلمين ، فمـا أن وضعت فى عنقه حتى سـمعوا فـى بيتـه بكـاء شـديدا ، فسألوا عن ذلك فقيل أن عمر بن عبد العزيز خـير جواريـه قائلا لهنَّ ..

قد نزل بى أمر قد شغلنا عنكن ، فمن أحبت أن اعتقهـا اعتقتها ومن امسكتها لـم يكـن منـى اليهـا شـئ فبكيـن بكـاء شديدا يأسا منه ولم يدركن أنه نفسه كان يبكى فى داخله من ثقل التبعات الجسام ،حرم نفسه مـن كـل الطيبـات حتـى أن فاطمة بنت عبد الملك تقول عنه: انه لم يغتسل من جنابه او احتلام منذ استخلفه الله حتى قبضه !

وكانت قد شكته يوما إلى احد الفقهـاء فَقـالت لـه : إنـى أخاف أن لايسع أميرالمؤمنين مايصنع ،قال لها الفقيه :

وماذاك ؟ قالت : ماكان من أهله بليل منذ ولى فلقى الرجل عمر فقال له : يا أمير المؤمنين بلغنى شيئ أخاف الايسعك ؟ قال عمر : وماذاك . قال : أهلك لهم عليك حق ، قال عمر : وكيف يستطيع رجل أن يأتى ذاك وأمة محمد فى عنقه، والله سائله عنها يوم القيامة ! إمتلأ قلبه بالتقوى فكان دليله فى كل مسعاه، ودليله فى الليل الطويل المملوء بالبكاء، ودليله فى قيام الليل يناجى ربه السلامة من هذا الامر، وأن يخرجه منه على خير ما أخرجَ منه الأولون . إمتلات ، حناياه بالتقوى فاذا دوت جوارحه خوفا ، ملك عليه لسانه من الخطأ حتى مع أضعف الناس، فقد عثرت قدماه في الظلام وهو بالمسجد برجل نائم، فوقع الرجل على رأسه وقال لائما : أمجنون أنت ؟! قال أمير المؤمنين :لا .وماكاد يجن الا الحرس الذى معه على حلمه وأناته وعدله وتقواه ،ويسأله آخر ملكه الشوق لما كان يحدث مع سابقيه.

من الخلفاء حين كانوا يتفرغون للسمر والانشاد وأهل الغناء يسأله : لوفرغت لنا ؟ فيقول له عمر : واين ألفراغ ؟ ذهب الفراغ فلا فراغ إلا عند الله !

إيمان عميق وخوف شديد ملك عليه احساسه وجوارحه حتى أنه لم يعد بإمكانه أن يكمل الخطبة من كثره مايحتمل فى قلبه من الوجيب والخوف الشديد، يقول للناس وهو الخطيب البليغ ..

أيها الناس : أصلحوا آخرتكم تصلح لكم دنياكم ، ولم يستطع أن يكمل حديثه فقد غلبته العبرة وأمتلأت حلقه بالغصة ، فأجهش ببكاء صامت مرير . ومن كان كذلك فإن متعة الحياة بعيدة كل البعد عنه فلم يلبس جديدا على جسده منذ ولى الخلافه حتى أن مسلمه بن عبد الملك دخل على اخته فاطمة زوجه أمير المؤمنين غاضبا ظنا منها أنها قصرت فى حق زوجها فقال لها :

أنى ارى أمير المؤمنين قد اصبح اليوم مضنيا وأرى قميصه درنا فألبسيه غير هذا القميص حتى نأذن للناس عليه ، فسكتت فاطمة ولم ترد على أخيها، فقال لها : ألبسى أمير المؤمنين غير هذا القميص ؟ فقالت : والله ماله غيره !!

هذا ملك الملوك وأعظم خليفة على الأرض لايجد مايلبسه أمام الناس حتى أنه حين توفى رحمه الله رأوا أن ملابسه لاتساوى عشره دنانير !!

لله درك ياعمر ، فإنك مبعوث العناية الالهية لأمة محمد صلى الله عليه وسلم على رأس المائه لتحيى كتاب الله وسنه رسول الله وتسير فى الرعية بالحق والهدى والرحمه بعد أن رأوا منها الكثير وكثرة البدع والضلالات ، جئتهم على موعد فكنت الرحمه وكنت العدل وكنت المنقذ من العذاب ، حتى استراح لفتواك المقربون وسكن لهديك

المتمردون دخل عليه أحد أصحابه القدامى ليلة فوجده يتلوى من بطنه فسأله مالك يا أمير المؤمنين ؟ فقال : عدس أكلته فأوذيت منه ، ثم قال: بطنى .. بطنى ملوث فى الذنوب!

فأحتار الرجل في أمره فقال يا أمير المؤمنين .. إن الله يقول فى كتابه: { كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ } (١)

فقال عمر هيهات .. ذهبت به إلى غير مذهبه، إنما يريد به الكسب، ولايريد به طيب الطعام وأخرج يوماً خازنه مسكا من الخزنة فوضعه أمام عمر، فلما وضع بين يديه أمسك بأنفه، وخاف أن يجد ريحه ، فقال رجل من أصحابه : يا أمير المؤمنين ماضرك لو وجدت ريحه ! فقال :

وهل ينبغى من هذا إلا ريحه ؟! أبت نفسه الزاهدة ألا تشم من ريح الدنيا شيئا حتى لو كان مسكا، لقد كانت تواقة إلى ماهو أفضل إلى ريح الجنة، ومن كانت هذه طباعه وهو على القدرة فهنيئا له عطر الجنات ..!

---

(١) من الآية ٥٧ سورة البقرة

الخاتمــه

لم يدم الأمر لعمر بن عبد العزيز، كان كسراج أضاء الظلمة فجأة فعرف الناس موقع أقدامهم،ثم مالبث أن انطفأ او كنسمه عليله هبت فى يوم قانظ محملة بأريج العطر الفواح، ثم عبرت تاركة فى أنفسهم بقية نشوة تسكر الروح ، نعم لم يدم الأمر لعمر بن عبد العزيز رحمه الله فقد كان فلته من فلتات الزمن لم تكرر عبر التاريخ ، جاء على موعد ثم رحل إلى مثواه ، إلى الله سبحانه وتعالى بعد أن أرعبه الخوف فى دنياه من اللقاء كأنما لم تخلق النار الا له فأمنه الله من النار ، لقد صدق يزيد بن جوشن حين قال :

{ ما رأيت أخوف من الحسن ، وعمر بن عبد العزيز فكأن النار لم تخلق إلالهما } مات عبقرى الحكم وعظيم بنى أمية ونجيبها الأوحد بعد أن حكم العالم الاسلامى سنتين وبضعه أشهر أنجز خلالها من الإصلاحات النفسية والروحية والاجتماعية مايعجز عن فعله العباقرة فى أجيال.

مات عمر بن عبد العزيز وهو فى ريعان شبابه ، لم يبلغ بعدُ الأربعين وأن الناظر اليه يخيل له أنه يرى رجلا

طعنه الزمن من كثرة ماحمل على كاهله من الأعباء التى ينوء بحملها، مات عزير الدمع ، فياض الحنين ، أواه منيب الأنين : مات الذى اشتاقت روحه وتاقت إلى نعيم لايحول وملك فى السماء لايزول ، فعمل لهذا حتى أفنى جسده وشبابه فترعرعت روحه فى جنات الله حيث أرضى الله عز وجل بصلاحه فى أمة محمد صلوات الله وسلامه عليه، أصلح للناس حياتهم ووضعهم على المحجه البيضاء كما أرادها لهم الله ورسوله، جمع أحاديث المصطفى عليه أفضل الصلاة والتسليم ، وضمها فى كتاب يرجع اليه فى كل حين ، مات إمام العدل وهو يوصى زوجه قائلا : إذ أنا مت فوجهينى إلى القبلة على شقى الأيمن .!

ودخل عليه مجاهد وهوفى مرضه فقال له عمر بن عبدالعزيز:مايقول الناس فىَّ!قال مجاهد: يقولون مسحور ..

قال : ما انا بمسحور ، وإنى لأعلم الساعة التى سُقيتُ فيها ثم دعا غلاما له فقال له ..ويحك ماحملك على أن تسقينى السم ؟

قال الغلام : ألف دينار أعطيتُها وعلى أن أعتَقَ .

قال له عمر : هاتها : فجاء الغلام بها فألقاها فى بيت المال وقال للغلام اذهب حيث لايراك أحد !

حتى فى القصاص أبى أن يأخذه لنفسه ، بل ترك الأمر لله عز وجل وأعتق العبد تأكل الحسرة أكباده إن كان له بقية من ضمير ، لك الله ياعمر فى كل خطوة خطوتها وعن كل منعرج سرت فيه .. مات شهيدا للحق والواجب والعدل لقد مَحوتَ من قلبك كل إساءة حتى للذى سقاك السم تواضعت فى حكمك، وفى موتك فرفعك الله إلى منزل الأبرار والصالحين . فهاهم قومك يعرضون عليك موضعا تطاول اليه الاعناق وهو الموضع الرابع الذى عند قبر النبى 'صلى الله عليه وسلم' قالوا : لو دنوت من المدينه فإن قضى الله موتا دفنت فى موضع القبر الرابع من رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبى بكر وعمر .. قال : والله لئن يعذبنى الله بكل عذاب الا النار فإنى لاصبر لى عليه أحب إلى من أن يعلم الله فى قلبى أنى أرانى لذلك أهلا

ومات عمر رحمه الله مسموما بسموم الحقد والكراهيه ، سموم تفثت الموت فى جسده الرقيق الذى اضاءه طول السجود واضمره كثرة البكاء ، استشهد فى دير سمعان ، هناك كان مرقده الأخير، خرج الطبيب من عنده فسألوه وكلهم إشفاق عليه : كيف رأيت بوله ؟

قال الطبيب : مابيوله بأس الا الهمٌ يـأمر النـاس ، حتـى فى الرمق الأخير من عمره، كان شاغله النـاس مـن خشـية الله المقبل عليه ،حتى تقتله تلك الخشية ليأمن من ذلـك فـى مستقر رحمة الله .

مات الخليفة العادل وقد اطمأن قلبـه فليس وراءه مـال ولم يدخر لاولاده المليارات من النقد فىالبنـوك كمـا يفعل الحكام الظالمون فى البـلاء إنمـا تـرك لهم التقوى والعمل الصالح ،واشترى قبره قبل أن يموت أشترى تلـك الامتـار من الأرض التى سيدفن فيها مـن نصـارى ديـر سـمعان ، قال له الذمى : ياأمير المؤمنين إنها الخيرة أن يكون قبرك فى أرضى فد حللتك مـن ثمنـه ، فـأبى واشـتراه يدينـارين دفعهما اليه وأمره ان يساويه بالأرض ويزرع فوقه .!

ذاك إمام عادل دخل التاريخ من أوسـع الأبـواب وبشـره الله بمقعده فى الجنه وهو لم يبرح بعد الحياه مصداقا لقولـه { وبشر المؤمنين } كانت بشراه أمام زوجته الوفيـة حيـن جلست بجواره فى مرضه مع أخيها مسلمة فقال مسـلمه ألأ نكون قد ثقلنا عليـه فخرجنـا وهـو منحـرف عـن القبلـة، ثـم مالبثا أن دخـلا عليـه فـإذا بـه نحـو القبلـة وإذا متكلـم يتكلـم لايرياه يقول :

تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ (١)

ودخل عليه مسلمة بن عبد الملك مرة أخرى يسأله فيمن يوليه بعده فانشغل عنه وقال : اذا نسيت الله فذكرنى ، ثم عاد عليه السؤال مرة أخرى فقال عمر : الله الذى نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين ،

وطلب عمر من الله عز وجل أن يخفى موته ساعة عن الناس فاستجاب الله له عز وجل ومات دون أن يشعر به أحد حتى زوجته المشفقه عليه خرجت من عنده وهو ينازع الموت ، ووقفت خلف الباب فسمعته يقول :

تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ (٢)

هدأت أنفاسه فدخلت عليه زوجته بعد مدة فوجدته قد استقبل القبله ، وصعدت روحه إلى بارئها وقد وضع احدى يديه على فمه والاخرى على عينيه التى انغلقت على البكاء..

---

(١) ، (٢) سورة القصص أيه ٨٣

وأوصى عمر رحمه الله تعالى أن يكفن فى خمسه اثواب منها قميص وعمامة ، كما أوصى أن يكفن معه أظفار من اظفار رسول الله 'صلى الله عليه وسلم' وبعض من شعره أعدهم لهذا الغرض .

ودفن فى دير سمعان من اعمال حمص ، غسله رجاء بن حبوة الذى أوصاه عمر رحمه الله عليه وهو فى مرضه قائلا له :

{ كن فيمن يغسلنى ويكفننى ويدخل قبرى ، فإذا وضعتمونى فى لحدى فحل العقدة ثم انظر إلى وجهى فإنى قد دفنت ثلاثة من الخلفاء كلهم إذا أنا وضعته لحده حللت العقدة ثم نظرت إلى وجهه فإذا وجهه مسود فى غير القبله

فلما توفى رحمه الله كان رجاء بن حيوة فيمن يغسله وكفنه ودخل قبره فلما حل العقدة ، نظر إلى وجهه فإذا وجهه كالقراطيس نحو القبله

مات أبيض الوجه، أبيض الأعمال ، ناصع السيرة والتاريخ ، مات نجيب بنى أمية وسيرته تعبق المكان والزمان بأريح الرحمة والعدل .

تم بحمد الله

الفهرس



